الجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشّعبيّة

وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي

MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE

جامعة مولود معمري، تيزي -وزو

كليّة الآداب واللّغات

قسم اللّغة العربيّة وآدابها

Université Mouloud Mammeri de Tizi-Ouzou

FACULTE DES LETTRES ET DES LANGUES

Département de Langue et Littérature Arabes

رقم الترتيب:

الرقم التسلسلي

تخصص: أدب حديث ومعاصر

مذكرة تخرج لاستكمال شهادة الماستر

الموضوع:

جماليات التهجين اللّغوي في رواية التوابيت لـ عز الدّين ميهوبي

إعداد الطالبة:

وردية سناني

إشراف الأستاذ:

د. عزيز نعمان

أعضاء لجنة المناقشة:

د. حسينة فلاح، أستاذة محاضرة صنف "ب"، جامعة تيزي وزو...................... رئيسة

د. عزيز نعمان، أستاذ محاضر صنف "ب"، جامعة تيزي وزو..............مشرفا ومقررا

د. فريزة رافيل، أستاذة محاضرة صنف "ب"، جامعة تيزي وزو......................ممتحنة

السنة الجامعية: 2018 /2019

بسم الله الرّحمن الرّحيم

شكر وعرفان

نشكر الله عزّ وجلّ ونحمده الذّي أنعمنا بنعمة العلم وأعاننا حتى بلغنا

هذه الدّرجة العلميّة، كما نتقدّم بجزيل الشكر وعميق الامتنان

وخالص العرفان للأستاذ المشرف الدكتور عزيز نعمان

على متابعته الدّائمة لهذا البحث، على تفانيه وإخلاصه، وتوجيهاته

ودعمه لنا فنرجو الله أن يوفّقه لخدمة العلم ويجازيه خير جزاء

وإلى كلّ من ساهم في إخراج هذا البحث إلى النور

من قريب أو من بعيد ولو بكلمة طيّبة أو ابتسامة عطّرة

لكم منّي خالص عبارات الشكر والتّقدير.

الإهداء

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى من ولاه واهتدى بهداه وسار على نهجه وشرعه إلى يوم الدّين.

أهدي ثمرة نجاحي هذا إلى الغاية التّي سهرت على راحتي إلى رمز الحب وبلسم الشّفاء، إلى التّي جعلت الجّنة تحت أقدامها إلى التّي تعبت من أجلي وتحملت مشقة الحياة إلى أمي الغالية، غلى والدي العزيز أدامك الله سندا منيرا.

إلى عائلتي فردا فردا دون استثناء حفظكم الله في خير

إلى من أمسكوا بأيدينا، وفي منتصف الطريق تركونا...

لنا في السماء لقاء

مقدّمة

مقدّمة:

شهدت الرّواية العربيّة المعاصرة تطوّرا بارزا في نظام هيكلتها ومضامينها، فعلى الرّغم من العقبات والاضطرابات التّي عرقلت مسيرتها، تمكّنت من مواكبة الحداثة وتطلّعات العصر، وكل ما هو قابل للتّجديد والتّحديث والتجاوز اليوم. فالرّواية في تطوّر دائم يتماشى مع الظّروف المختلفة التّي تحيط بها، ممّا يجعلها تحقّق معيارا جديدا للممارسة الأدبيّة معتمدة في ذلك على التّجربة، ما دام حقل اشتغالها هو الواقع غير المحدود وقيمه الفكريّة والجماليّة.

ومن المعروف أنّ الرّواية تعدّ جنسا أدبيّا نثريّا متميّزا بذاته، فهي تجذب الأدباء والنّقاد على حد سواء لما تحتويه من مقوّمات فنيّة وإبداعيّة، فهي النّوع الأدبيّ الأكثر شيوعا ورواجا في السّاحة الأدبيّة، وذلك لما تتّسم به من تيمات متعدّدة مرتبطة بشتّى مجالات الحياة، وخصائص شكلية تمنحها قالبا قابلا للتّحول والتّغير؛ ومن بين تلك الخصائص نجد ميزة التّهجين اللّغوي التّي غدت ظاهرة أدبيّة شغلت فكر العديد من البّاحثين والدّارسين في عدّة تخصصات، أدبيّة كانت أم لغويّة. ويُشكل الواقع اللّغويّ الجزائريّ أحد مصادر ذلك التنوّع، حيث انتقلت الرّواية من الصوت الواحد ذي البناء التقليديّ إلى نظام التّعددية اللّسانيّة، ويتجلّى ذلك في القدرة على المزج بين اللّغات (العربيّة بشقيها– الفصيح والعاميّ– الأمازيغيّة، الفرنسيّة)، ما يولّد تداخلا لغويّا أو ما يصطلح عليه بالهجونة اللّغويّة.

لقد ارتأينا في هذه الدّراسة اختيار موضوع (جماليات التّهجين اللّغويّ في رواية الدّ وابيت لعز الدّين ميهوبي)، لدافعين اثنين، أمّا الأوّل فهو ذاتي يكمن في ميلنا إلى الفن الرّوائي عن غيره من الفنون الأدبيّة، بحيث غدا أكثر شيوعا واهتماما لدى المبدعين والقرّاء على حد سواء؛ وأمّا الثّاني فهو موضوعيّ يحرّكه مسعى دراسة ظاه رة التّهجين اللّغويّ المميّزة للرّواية العربيّة المعاصرة، والبحث عن الآثار الجماليّة المترتّبة عنها. ولعلّ من أهمّ ما جعلنا نتّخذ من رواية "التّوابيت" لـ ميهوبي أنموذجا لبحثنا، تلك الأسس التّي بنيت عليها فهي تحمل في طيّاتها أبعادا جماليّة، مقترنة بتيمات العنف والتّطرف التّي تطبع الأحداث والشّخصيات، ما يمنح القارئ متنفسا آخر يتمظهر في التّعدد اللّغويّ.

ممّا استرعي انتباهنا ونحن نتصفّح رواية التّوابيت للكّاتب والشّ اعر الجزائريّ عزّ الدّين ميهوبي ، التّعدّد اللّغويّ المهيمن على النصّ السّرديّ بشكل خاص، ليغدو مزيجا إبداعيّا مركّبا أثار فينا تساؤلات وإشكالات نصوغها على النّحو الآتي: ما مفهوم التّهجين اللّغوي، وما معاييره؟ فيم تتجسّد أهمّ مظاهر التّشكيل اللّغويّ الهجين في هذه الرّواية؟ وما أهمّ الأبعاد الفنيّة والجماليّة للتّهجين اللّغويّ التّي تتجلى في الرّواية؟

ولقد استدعت منّا هذه الدّراسة، استعانتنا بالمنهج الوصفي التّحليليّ، القائم على إيراد كلّ المسائل والآليات التّي استندت عليها هذه الدراسة، ثمّ معاينتها بالتّحليل والشرح والتّمثيل انطلاقا من رواية عزّ الدّين ميهوبي الموسومة بالتّوابـ يت، وهذا ما أفاد بحثنا وأعطاه المستلزمات الكافيّة، كي يتكوّن ويأخذ صورته النهائيّة المتجسّدة بين أيدينا.

قسمنا بحثنا إلى فصلين، أمّا الأوّل فيحمل عنوان "التّهجين اللّغوي وتجلّياته في رواية «التّوابيت» لعزّ الدّين ميهوبي"، وينقسم بدوره إلى مبحثين، عالج الأوّل "ماهيّة التّهجين اللّغويّ في الأدب"، وتضّمن مفهوما لغويّا واصطلاحيّا للتّهجين في مختلف المعاجم والكتب الأدبيّة، والمكانة التّي شغلها في الأدب، أمّا الثّاني فتطرق إلى "أشكال التّهجين اللّغويّ"، وقد بيّنا فيه أهمّ مظاهر التّشكيل اللّغوي الهجين في الرّواية بالوقوف عند بعض النّماذج. وحمل الفصل الثّاني عنوان "التّهجين اللّغويّ وأبعاده"، ويتكوّن من مبحثين، أبرز الأوّل "مقوّمات التّهجين اللّغويّ"، المتمثلة في الأسس التّي بني عليها انطلاقا من الرّواية، وأمّا الثّاني الموسوم بـ "أبعاد التّهجين الجماليّة"، فأظهر فنيّة وجماليّة التّعدد الصوتيّ في عمل ميهوبي الرّوائيّ. وأنهينا بحثنا بخاتمة تضمّ أهم النّتائج المتوصّل إليها.

للإجابة عن أسئلة الإشكاليّة استعنّا بمفهوم الحواريّة الشائع عند بعض الدّارسين أمثال ميخائيل باختين (Michail Bakhtine) وتزفيتان تودوروف (Tzvetan Todorov) واستفدنا من تصور بعض الدارسين المتخصصين حول التّهجين اللّغويّ وعلاقته بأدب اليوم لاسيّما الرّواية منه. واستثمرنا بعض الدّراسات الأكاديميّة المنجزة حول أعمال الأديب عز الدين ميهوبي .

استلزم البحث منا الاعتماد على مجموعة من المصادر والمراجع الأدبيّة والنقدية المستمدّة من كتب التّراث العربيّ القديم، وكذا الكتب الحديثة والمعاصرة العربيّة، منها أو الأجنبيّة المترجمة، التي نأمل أنّها أسهمت، ولو بقدر قليل في إثراء هذا البحث المتواضع. ومن بين أهم المراجع المستند عليها نذكر: حرب اللّغات والسّياسات اللّغويّة للويس جان كالفي ، الخطاب الرّوائي لميخائيل باختين، المبدأ الحواري لميخائيل باختين، اللّغة والمجتمع لعلي عبد الواحد وافي، شعرية دوستويفسكي لميخائيل باختين، وكلّ من نظريات في اللّغة/اللّهجات وأسلوب دراستها لأنيس فريحة.

اعترضت بحثنا جملة من الصّعوبات التّي غيّرت من مسار الدّراسة، وجعلتها تتذبذب لفترة معيّنة، فمنها العراقيل الشّخصيّة التّي تمّ، بفضل وحمد الله، تجاوزها. أمّا العقبات الأخرى، فتمثّلت في إيجاد المراجع المتخصصة، سواء بنسختها المطبوعة أم الإلكترونيّة وقد أخذت منّا عملية التّنقيب وقتا طويلا، يكاد يعادل الفترة التّي قضيناها في جمع المادّة التّي نأمل أنها أعطت لبحثنا هذا ثمرة جهد قد طال، ما لبثنا نثابر ليلا ونهارا من أجل بلوغ مستوى نأمل أن يكون لائقا بالبحث العلميّ.

ولا يفوتنا في ختام هذا البحث، إلاّ أن نحمد الله أوّلا على تيسيره لنا الوصول إلى نهاية بحثنا المرجوة. كما نتقدّم بجزيل الشكر إلى الأستاذ المشرف الدكتور عزيز نعمان جزاء صبره وملاحظاته ونصائحه، وجزاء ما خصّصه من وقت للبحث والقراءة والتّوجيه وإلى كلّ من أسهم في هذا العمل ولو بحرف، جهرا أو سرا. كما نشكر مسبقا أعضاء لجنة المناقشة على قبولهم قراءة بحثنا هذا، وعلى توجيهاتهم القيّمة.

والله ولـيّ التّوفيق.

الفصل الأوّل: التّهجين اللّغويّ وتجلّياته في رواية التوابيت.

المبحث الأوّل: ماهية التّهجين اللّغويّ.

أولا: المفهوم اللّغوي للتّهجين.

ثانيا: المفهوم الاصطلاحي للتّهجين.

ثالثا: مفهوم الازدواجية اللّغوية.

رابعا: تعريف الثنائية اللّغوية.

خامسا: التّهجين اللّغويّ في الأدب.

أولا: المفهوم اللّغوي للتهجين:

تبنّى التّهجين عدّة دلالات ومفاهيم، تعبّر عن هويّته الخاصّة، سواء في المعاجم العربيّة أو الكتب الأدبية، فقد اتّخذ لنفسه معان مختلفة، إمّا من المنظور اللّغوي أو المعجمي، أو من المنظور الاصطلاحي، ولهذا السبب يصعب علينا حصر التهجين في مفهوم جامع ومحدّد، نظرا لتعدّد المجالات المعرفيّة التي ينتمي إليها.

اتّفقت جلّ المعاجم العربيّة على أنّ أصل كلمة **التّ هجين** مأخوذ من الفعل **هجّن**، فجاء في **لسان العرب**:«الهجين العربيّ ابن الأمة لأنّه معيب، وقيل: هو ابن الأمّة الرّاعية ما لم تحصّن، فإذا حصنت فليس الولد بهجين، والجمع هُجنٌ وهُجناء وهُجنانٌ ومَهاجينُ ومُهاجَنةٌ»[1]. فيقال عن الهجين الذّي هو الولد من غير الأم العربيّة، أي الأعجميّة، فهو هجين مختلط النّسب من جهة الأم والأب.

كما نجد كلمة هجَّن تعني «في علم الأحياء: نبات أو حيوان ينتج عن تزاوج نوعين أو سلالتين أو صنفين مختلفين»[2].ونقصد بهذا أنّ التّهجين في علم الأحياء نبات أو حيوان منه ينتج الاختلاط بين جنسين أو شكلين ونوعين مغايرين لبعضهما البعض تماما.

وفي تعريف آخر يذهب الفيروز آبادي إلى أنّ «التّهجين التّقبيح، أنا أستقبح فعلك أي أستقبحه وهذا ممّا يستهجن، وفيه هُجنة»[3].والمقصود أنّ التّهجين هو الفعل الذّي يتخلّله عيب أو نقص أو شيء مستقبح، فهو غير مقبول.

ورد كذلك في السّياق نفسه أنّ «الهجنة بالضّم من الكلام ما يعيبهنقول لا تفعل كذا فيكون عليك هجنة»[1]. ونجد أيضا: «وهجّن الرجل كثر هجّان إبله»[2]. أي كثرت بعيره وماله الذّي يسترزق به وجاء في **قطر المحيط:** «هجّن اللّغة أدخل إليها مفردات وأفكارا

---

[1]– أبو الفضل جمال الدّين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري، لسان العرب، مادة: هجن، مجلد9، ج13، ط1، دار صادر، بيروت، 1990، ص431.

[2]– مجمع اللّغة العربيّة، المعجم الوسيط، ج2، ط3، مكتبة الشروق الدّولية، القاهرة، 2004، ص1014.

[3]– مجد الدّين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج4، دار الجيل، بيروت،1980، ص279.

من لغة أو لغات أخرى طالب بتهجين لغة العلوم بدلا من تعريبها وتأصيلها»[3]. ويقصد بتهجين اللّغة أن نجعل لغة ما تتضمّن مزيجا لغويا، وألفاظا ومصطلحات من لغة أو لغات أخرى مختلفة، فيمكن للّغة في حدّ ذاتها أن تحمل في ظلّها لغات متعدّدة متداخلة فيما بينها ومندرجة تحت إطارها.

يضيف **أحمد مختار عمر**قائلا: «هجّن الأدب: خلط بين أنواع واتجاهات مختلفة هجّن روايته الأخيرة: جمع فيها بين الأسلوب الرّوائي والشعري»[4].فتهجين الأدب هو تعدّد في الأصنافوالأشكال والأنواع تحت عمل أدبي واحد.

والتّهجين أيضا يحمل معنى أن «يصحب اللّفظ والمعنى لفظ آخر ومعنى آخر يزري به، ولا يقوم حسن أحدهما بقبح الآخر»[5].فاللّفظ يتبعه معنى ولفظ آخر، وهنا تتجلّى كلمة التّهجين في اختلاف اللّغة في كلّ من المعنى واللفظ، فلا يبنى معنى أو لفظ على أساس نقص أو عيب من استعمال لآخر.

وممّا سبق تقديمه، نجد أنّ للتّهجين على المستوى اللّغوي عدّة دلالات ومعاني تختلف من معجم لآخر، وهذا دليل على اختلاف وجهات النّظر فيه، وتعـدّد مجـالاته، على المستوى الاجتماعيّ، والثّقافيّ، واللّغويّ، والحضاريّ، ورغم ذلك نلمس اشتراكا في جعله جمعا بين شيئين، فلكلّ أديب وباحث نظرته للتّهجين ورأيه الذّي يبني عليه التّهجين في عمله الأدبيّ بشكل متقن وفريد.

---

[1]– محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مج9، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ص365.

[2]– بطرس البستاني، قطر المحيط، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت–لبنان، 1995، ص639.

[3]– أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربيّة المعاصرة، مج:1، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 2008، ص2328.

[4]– م ن.

[5]– مجدي وهبه وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1974 ص124.

ثانيا: المفهوم الاصطلاحي للتّهجين:

يحظى التّهجين باهتمام كبير وملحوظ من قبل العديد من الباحثين والدّارسين، بحيث كانت لهؤلاء نظرة مشتركة في إعطاء مفهوم عام للتّهجين، فقد أجمع الباحثين والدّارسين على جعله مزجا وخليطا متنوّعا وغنيّا، بين لغتين أو أزيد من ذلك، فالأصحّ هو أن نرجع لغة أو لغات مختلفة إلى اللّغة الأم أو اللّغات القومية، وإدراج عدّة لغات مختلفة تحتهاتظهر في مقوّماتها متنا روائيّا صلبا، ذا هيكل منسجم وجمالي في الوقت نفسه.

لقد عرّف **ميخائيل باختين Michael Bakhtine** التّهجين،فيرى أنّه «مزج لغتين اجتماعيتين داخل ملفوظ واحد، وهو أيضا التقاء وعيين لسانيّين مفصولين بحقبة زمنيّة وبفارق اجتماعي أو بهما معا، داخل ساحة الملفوظ»[1]. يتبيّن من هنا أنّ التّهجين عملية يكون فيها مزج وخلط داخل ملفوظ واحد، بين لغتين وأسلوبين اجتماعيّين، في إطار خطاب أدبي معيّن، وذلك ما يترجم تفاعل وعيين ورؤيتين مختلفتين، تفصل بينهما فترة تاريخيّة ما أو وسطين متبادلين، أو الاثنين معا في آن واحد، ويكون هذا في ظلّ سياق كلاميّ متفاعل مع الخطاب الأدبي الذّي يعنى به.

ميّز **ميخائيل باختين** بين شكلين من التّهجين، أوّلهما التّهجين الإرادي/ القصدي وثانيهما التّهجين اللاإرادي/غير القصدي «فالرّوائي يوظّف التّهجين بشكل إرادي ومقصود أمّا التّهجين الذّي يقع عادة بين اللّغات في كلام النّاس فهو تهجين غير إرادي لأنّه يدخل في سياق تبادل التّأثير المألوف بين اللّهجات واللّغات التّي تتعايش في حقل اجتماعي واحد»[2].فمن هنا نعي أنّ التّهجين الإراديّ القصديّ لا يوظّف في المتن الرّوائي إلاّ بداعي الرّغبة والإرادة في إدراجه داخله، أمّا التّهجين غير الإرادي فيتمظهر في السّياق الكلاميّ

[1]– ميخائيل باختين، الخطاب الرّوائي، تر:محمد برادة، ط1، دار الفكر للدّراسات والنشر، والتوزيع، القاهرة، 1987 ص15.

[2]– عبد الجيد الحسيب، حوارية الفن الرّوائي، منشورات مجموعة الباحثين الشباب في اللّغة والأدب، مكتبة الأدب المغربي فاس، المغرب، 2007، ص36ص37.

للأشخاص، وهذا بطريقة عفوية وغير مقصودة، وذلك قصد خلق تأثير بين مختلف الألسن حيث تشترك في ماهيتها على أساس وعي اجتماعيموحّد.

أضحى التّهجين غير الإرادي «إحدى الصّيغ الهامة للوجود التّاريخي ولصيرورة اللّغات»[1]، فهو بذلك ضرورة لابدّ منها منذ الأزل، ولضمان استمرارية مختلف اللّغات، كما ينتج عن السّياق الكلاميّ للّغات المختلفة، لخلق آلية التّأثير والتّأثر فيما بينها، فاللّغات تتطور بدورها تاريخيا من خلال التّهجين. أمّا التّهجين الإراديّ القصديّ فيتحقق استنادا على تحصيل الوعي وإدراج خطابات أو تراكيب لغويّة معيّنة، بغية إضفاء فضاء دلالي متنوّع ومتعدّد هدفه الخلق الأدبي.

يشترط **ميخائيل باختين** أن يكون التّهجين فرديا، واعيا، وقصديا، بحيث يمكن التّمييز بين «ثلاثة شروط للتّركيب الهجين الرّوائي، الإرادة والوعي في فعل التّهجين، العلاقة غير المتكافئة بين اللّغتين (اللّغة المصوَّرة–اللّغة المصوِّرة)، تقديم صوتين لكلّ منهما موقف مختلف من العالم»[2]. وتعدّ هذه الشروط قائمة في جوهرها على الرّغبة والوعي بالدّرجة الأولى، وتبيان العلاقة بين اللّغة الأم واللّغة الموظّفة التّي تعدّ جسدا لها، وكذلك إبراز موقف وصوت كلّ من هاتين اللّغتين ورؤيتهما إلى العالم.

ولقد جاء مفهوم التّهجين اللّغويّ عند **محمد برادة** على أنّه «سيرورة ملازمة لحياة المجتمعات، تلاحق التّحولات وتسعى إلى التّعبير عنها من خلال إبداع الكلمات وتلقيحها وتفريغ دلالاتها وتلاوينها، وهو ما يجعل اللّغة القوميّة تنقسم بالضرورة، كما لاحظ باختين لهجات اجتماعية ورطانات مهيمنة، ولغات للأجناس التعبيريّة وطرائف الكلام بحسب

[1]– ميخائيل باختين، الخطاب الرّوائي، م س، ص120.

[2]– سيد اسماعيل ضيف الله، آليات السرد بين الشفاهيّة والكتابيّة: دراسة في السيرة الهلالية ومراعي القتل، ط1، شركة الأمل للطّباعة والنشر، القاهرة، 2008، ص102.

الأجيال»[1]. فالتّهجين في اللّغة، استنادا على هذا القول، يعدّ نطاقا وتوليدا لمختلف اللّغات التّي تكون مقرونة بالمجتمع وتجربته، حيث يضفي على الملفوظات إبداعا ورونقا في دلالاتها ومعانيها، وبهذا لاحظ باختين أنّ اللّغة الأم تنقسم إلى عدّة لغات اجتماعيّة ترتبط بالطّور الاجتماعيّ بالدّرجة الأولى، وذلك ما يولّد مختلف أنواع الكلام والألسن، على مرّ العصور.

وجاء التّهجين اللّغويّ على أنّه «مزج تبليغ من متكلم إلى متلقّ بمفردات ومستويات لسانية تعود لأكثر من لغة واحدة، وكلّما كانت هذه المفردات لا صلة لها باللّغة المركزيّة المتمثّلة في المنطوق الأدبي، والموروث اللّساني التّاريخي، كانت أكثر هُجنةً»[2]. فالتّهجين يتضمّن عاملين مساهمين في عملية التّواصل، المخاطِّب الذّي يقوم بعملية إيصال المعلومات، والمخاطَّب الذّي يستقبل تلك المعلومات، كي يتأسس الأسلوب الهجين بين عدّة لغات مختلفة، ويتمظهر هذا في البعد عن اللّغة الرسمية التي تسيطر على الخطاب الأدبي وتراثه ولغته، حتى يمتاز بهجنة فعّالة في النّص السّردي.

ويبدو لنا التّهجين اللّغويّ حاضرا في المتن الرّوائي «عندما تشتبك عدّة ملفوظات وأساليب، أو على الأقل ملفوظين اثنين، في لحمة الخطاب السّردي، وتجعله يراوح بين رؤيتين ووعيين يصعب أحيانا تحديد وجهتهما الدّلاليّة، فتنعدم الحدود الشّكليّة الفّاصلة بين الملفوظات المتشابكة»[3]. فالتّهجين في العمل الإبداعي يكون مزجا بين مستويين لفظيين نتيجة لالتقاء نظرتين ومعرفتين معقدتين في المعنى، حينها تختفي تماما مسألة الظّواهر الشكليّة، التّي تضع حاجزا بينها وبين تلك العبارات التّي تتداخل فيما بينها.

---

[1]– محمد برادة، الرّواية ورهان التّجديد، ط1، دبي الثّقافية، الصدى للصّحافة والنّشر والتّوزيع، دبي، الإمارات العربية المتحدّة، 2011، ص54.

[2]– صالح بلعيد، اللّغة العربيّة بين التّهجين والتقريب الأسباب والعلاج،المجلس الأعلى للّغة العربيّة، الجزائر، 2010 ص53.

[3]– عبد المجيد الحسيب، الرّواية العربيّة الجديدة وإشكالية اللّغة، ط1، عالم الكتب الحديث للنّشر والتّوزيع، إربد– الأردن2014، ص242.

لقد كان للأدباء والدّارسين لظاهرة التّهجين صياغة مشتركة لإعطاء دلالة للتّهجين وهو ما جعله ينطوي على أساس لغوي متنوّع ومتعدّد، فقد استثمر الرّوائيون هذه الظاهرة ووظّفوها في أعمالهم الرّوائيّة بغية تحقيق أكبر قدر من الجماليّة، فهي تجعل اللّغات والرؤى المختلفة تتعايش وتتحاور فيما بينها، لتتولّد لغات متحاورة ومتداخلة في الأعمال الرّوائيّة بشكل أخص.

ثالثا: مفهوم الازدواجية اللّغوية:

وقد عرّفها شارل فرجسون Charles Ferguson بأنّها «وضع لغوي ثابت نسبيّا يكون فيه – بالإضافة إلى لهجات اللّغة (والتّي قد تشمل لهجة معيارية أو لهجات معيارية إقليمية) – نوع من اللّهجات مختلف اختلافا كبيرا عن غيره من الأنواع ومنظم أو مصنف للغاية»[1].فازدواجية اللغة تعد حالة لغوية تسود مجتمع ما بشكل دائم ومستمر، فيحمل لغات عامية متنوعة يتميّز بها الأفراد في بلد واحد، بحيث تختلف كلّ لهجة عن نظيراتها، فلكلّ لغة تصنيفها وطبيعتها وتنظيمها الذي تعتمد عليه.

ويذهب **إميل بديع يعقوب** إلى أنّ «ازدواجية اللّغة (Bilinguisme) وجود لغتين متغايرتين من بعضهما عند فرد ما، أو جماعة ما، في آن واحد»[2]. فالمزج بين الفصحى والعامية قد يظهر عند فرد معيّن أو جماعة من الأفراد أو مجتمع ما، فلا يكون عشوائيا، إذ يمكن معاينته في العيّنة الصغيرة أو الكبيرة من الأفراد.

يمكن اعتبار الازدواجية اللّغوية «وجود مستويين لغويين للغة واحدة في مجتمع إنساني واحد، أحد هذين المستويين يسمى المستوى الفصيح وهو لغة الأدب والكتابة الرسمية والقضاء والصكوك، والكتب المدرسية والجامعية وغيرها، ويمكن وصفها باللغة الرسمية... والمستوى الثّاني يسمى المستوى العامي وهو لغة الحديث العادي والتخاطب بين الناس في

[1]– إبراهيم صالح الفلاي، ازدواجية اللغة: النظرية والتطبيق، ط1، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1996، ص21.

[2]– إميل بديع يعقوب، فقه اللغة العربية وخصائصها، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1982، ص145.

الأسواق والتحيات والهاتف ومختلف مواقف الحياة غير الرسمية»[1]. ومن هنا يمكن جعل الازدواجية اللّغوية ذات فرعين لغويين منحدرين عن اللّغة الموظّفة لدى مجتمع معيّن، فالفرع الأوّل يتمثّل في اللغة العربية الفصحى، وهي الفرع الراقي الذي يمتاز بالسّمو والعلوّ، وذلك باعتبارها لغة الفصحاء والأدباء والبلغاء والخطباء، فهي لغة لابدّ من ضرورة وجودها في المجتمع، أمّا الفرع الثّاني فهو اللّغة العامية وتتمثّل في الفرع الأقل شأنا، بجعلها لغة الحديث اليومي المتداول، وبهذا فإنّ اللغة الدارجة ليست لغة يمكن للفرد الاستعانة بها في المواقف الرّاقية والرّسميّة.

يقدّم **أندريه مارتينيه André Martinet** مفهوما آخر للازدواجية اللغوية فيرى إنّنا«نميل إذن إلى أن نخصّص تحت مفرد الازدواجية الألسنية موقفا لغويا اجتماعيا، حيث تُستخدم بشكل تنافسي لهجتان لهما وضع اجتماعي ثقافي مختلف الأولى باعتبارها لغة محلية، أي شكلا لغويّا مكتسبا أولويّا ومستخدما في الحياة اليوميّة والأخرى لسانا يفرض استخدامه في بعض الظروف من قبل أولئك الذين يمسكون بزمام السّلطة»[2]. وبذلك جعل مارتينيه الازدواج اللّساني نمطا كلاميّا يسود المجتمع، حيث يتحدّد ذلك عن طريق لغتين متباعدتين في الإيديولوجية والحضارة والثّقافة. تدعو اللّغة الأولى إلى جعلها نتاجا للفطرة المكتسبة، التّي يتقنها الفرد تدريجيّا ويحتاجها في مختلف جوانب الحياة المتعلقة بالأمور العلمية الراقية، أمّا اللّغة الثّانية فتستلزم ضرورة استعمالها خاصة من طرف الأشخاص الذين لهم المقدرة على السيطرة والاستحواذ.

يتّضح من جهة أخرى، مفهوم آخر، يعتبِر أنّ «الازدواجية هي إدماج عدّة وحدات لغويّة وثقافيّة في مجتمع واحد، وهي تعني بالضرورة وجود لغتين تتمتّعان بقدر متساو من

---

[1]– نور الله كورت، ميران أحمد ابو الهيجاء، محمد سالم العتوم، اللغة العربية (نشأتها ومكانتها في الإسلام، أسباب بقائها) جامعة بنغول، تركيا،2015، ص153.

[2]– إبراهيم كايد محمود، العربية الفصحى بين الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية، المجلة العلمية، ع1، مج3، جامعة الملك فيصل، الأحساء، المملكة العربية السعودية، مارس، 2002، ص62.

الانتشار»[1]. وبذلك تكون الازدواجية جمعا بين العديد من التّراكيب اللّغويّة المختلفة التّي تختلف طريقة نطقها بحيث تتباين طريقة إخراج الكلمات من اللّسان البشري من مجتمع إلى آخر، وهذا ما يستدعي تساوي استعمال هاتين اللّغتين عند طائفة معيّنة من الأفراد.

وفي موقف أخر، تُرجع الازدواجية «استعمال نظامين لغويّين في آن واحد، للتّعبير أو الشرح وهو نوع من انتقال من لغة إلى أخرى، وهذا موجود كظاهرة لغوية اتصالية في الشعوب»[2]. أي إنّ لابدّ في الازدواجية اللّغويّة من وجود مستويين لسانيين في الوقتنفسه قصد التّفسير والتّوضيح، وإيصال الفكرة والتّأثر بها، فيمكن جعل هذه الازدواجية ضربا من التبادل الذّي يحدث بين لغة وأخرى، ممّا يصنّفها من الظواهر اللّغويّة والأدبيّة التي تسعى في جوهرها إلى خلق روابط الاتصال بين الأمم والمجتمعات المتعدّدة، وتتيح لها سبل التّقارب والانسجام وتأثر الواحدة بالأخرى.

وممّا سبق تقديمه، نرى أنّ الازدواجية اللّغوية هي استعانة الفرد أو الجماعة بلغتين مختلفتين في الحياة اليوميّة، فيمكن استخدام اللّغة العربية الفصحى في مختلف الجوانب التي تستدعي التّحضر والرّقي في التعامل والتخاطب، كما يمكن اعتماد اللّغة العامية في جانب الحياة العادية واليومية حيث لا قيود ينبغي الالتزام بها والتقيّد بها في الاستعمال المتداول.

رابعا: تعريف الثّنائية اللّغوية:

مثلما كان الحديث عن تداخل اللّغة الفصحى واللّغة العامية، الذّي بدا بارزا وبشدّة في روايةميهوبي، وهذا ما سنتعرض له لاحقا في هذه الدّراسة، فإنّ هذا النص يحمل ثنائية لغوية تسترعي اهتمام القارئ، وقد تجسّدت في المزج بين اللّغة العربية الفصحى واللّغة الأجنبية في بعض من فقرات هذه الرواية، سواء كان ذلك بدافع الانتقال من الفصحى إلى الأجنبية من جهة، أم المزج بين اللّغتين في بعض الأحيان من جهة أخرى، فالثّنائية اللّغوية

[1]– صالح بلعيد، اللّغة العربيّة بين التّهجين والتهذيب: الأسباب والعلاج، م س، ص19.

[2]– م ن، ص87.

تعدّ «استعمال الفرد للغتين بأية درجة من درجات الإتقان ولأية مهارة من مهارات اللّغة ولأيّ هدف من الأهداف»[1]. فهذه الثّنائية اللّغوية تسمح للفرد أو جماعة ما بامتلاك لغتين متباينتين عن بعضهما البعض أشدّ التبايّن، فلابدّ من البراعة والتّمكن منهما بشكل مبدع ومتقن، فمن الضروريّ إجادة اللّغتين معا بدقّة ومهارة، ما يمكّن الفرد والمجتمع من استخدامهما لأيّ مبتغى يتطلّع إليه.

يعرض **مكنمارا Macnamara** تعريفه للثّنائية اللّسانيّة مؤكدا أنّها «امتلاك الفرد للحدّ الأدنى من مهارة لغوية واحدة في لغة ثانية»[2]، ما يمنح الفرد نوعين كلاميين فيجيد لغته الأم بقدر إجادته للّغة الأجنبيّة الثّانيّة التّي يتقن استعمالها هي الأخرى.

يبيّن**ميخائيل باختين** كذلك إلى أنّ الثنائيّة اللّغوية «ليس فيه وعيان، فرديّان صوتان، نبرتان فقط، وإنّما فيه أيضا وعيان لغويّان اجتماعيان وعصران لم يمتزجا هنا امتزاجا لا واعيا في حقيقة الأمر»[3]. أي إنّ الشّخص الذّي يمتاز بثنائية لغوية يعتمد على نمطين من الفكر الفرديّ، ويسلك دربين مختلفين في الكلام، وطريقة مغايرة في التّخاطب والتواصل مع الآخرين، فلا يمكن أن يكتفي الفرد بهذين النمطين، بل يتعيّن وجود لغتين من ثقافتين وحضارتين متفاوتين أشدّ التفاوت، أي إنّ كلّ لغة تختلف عن الأخرى في الهويّة والتّاريخ والمذهب الفكري، وهكذا تتشكّل اللّغة لدى كلّ أمّة أو مجتمع، فتصبح هي الهوّيةالتّي تجعلها فريدة ومتميّزة عن المجتمعات الأخرى.

يضيف **ميشال زكريا** بخصوص هذه الثنائيّة، التي يرى أنّها تتأسس على «الوضع اللّغوي لشخص ما أو جماعة بشريّة معيّنة تتقن لغتين، وذلك من دون أن تكون لدى أفرادها

[1]– محمد علي الخولي، الحياة مع لغتين: الثّنائية اللّغوية، ط1، دار الفلاح للنشر والتّوزيع، الأردن، 2002، ص18.

[2]– إبراهيم كايد محمود، العربيّة الفصحى بين الازدواجية اللّغويّة والثّنائية اللّغوية، م س، ص76.

[3]– ميخائيل باختين، الكلمة في الرّواية، م س، ص146.

مقدرة كلاميّة مميّزة في لغة أكثر ممّا هي في اللّغة الأخرى»[1]. وتتمثل هذه الثنائيّة عند الدّارس في حالة ألسنية يتميّز بها الفرد أو جماعة محدّدة، بحيث يمكنه أن يتفوّق، وبامتياز في لهجتين مغايرتين ببراعة تامّة، فتكون مهارة الشخص في النطق متكافئة الإمكانيات في كلتا اللّغتين.

يذهب كذلك **ميشال زكريا** إلى أنّ «الفرد ثنائيّ اللّغة حيث يمتلك عدّة لغات تكون مكتسبة كلّها كلغات أم»[2]. ممّا يفهم أنّ اللّغة عند الفرد يتمظهر بشكل متنوّع ومتعدّد، فلابدّ له أن يتفنّن في إتقان اللّغة الثانية تماما كما يبدع ويتفوّق في لغته الأصلية التي يمتلكها منذ نعومة أظافره.

وتتجلى الثّنائية اللّغوية في القدرة على تعلّم لغة زيادة إلى اللّغة الأم، فبالإضافة إلى إتقان الفرد للغته الأصلية التّي لزمته منذ الصّغر، والتّي لابدّ له منها لتحقيق عملية التّواصل والتّخاطب، فكذلك هو بأمسّ الحاجة إلى ضرورة اكتساب لغة ثانية يجيدها بنفس الدرجة التّي يجيد بها لغته الرّسمية والمحليّة، وانطلاقا من هذا المعطى يمكن أن نصف فردا ما أنّه ثنائيّ اللّغة، إذ ما اعتمد في التّواصل اللّغويّ مع الطرف الآخر على لغة غير التّي تعوّد عليها، ذات إيديولوجية ووعي مختلف عن لغته الأم.

وبناء على ما طرح، يمكن القول إنّ التّداخل الموجود بين اللّغة العربيّة واللّغة الأجنبيّة، مؤشر على وجود لغتين تتصرعان في المجتمع الواحد، فبقدر ما تستعمل العربيّة بشكل رسميّ، تستخدم الأخرى كذلك، ممّا يعني أنّهما في نفس الكفّة ونفس المقام، ويجيدهما المتكلّم بالدّرجة نفسها.

---

[1]– ميشال زكريا، قضايا ألسنية: تطبيقيّة لغوية اجتماعية نفسيّة، مع مقاربة تراثية، ط1، دار العلم للملايين، لبنان، يناير 1993، ص35.

[2]– م ن، ص36.

خامسا: التّهجين اللّغوي في الأدب:

إذا كان الأدب مظهرا من مظاهر تجلّي الفكر، فالسّرد يعدّ خاصيّة روائيّة بامتياز ولهذا تصنّف الرّواية كأكثر الأجناس الأدبيّة تداولا، وكذا استيعابا وتفتحا على الخطابات الأدبيّة الأخرى، بحيث نلمس فيها تنوّعا أدبيّا جليّا، وقابليّة على التّجدّد وتوجيه مادتها نحو «نمو التّفكير النّظري في الرّواية، وتطويره، كونها جنسا تعبيريّا (هجينا) في شكله، غير منته في بحثه عن شكله النّهائي، وهذا ما جعلها خطابا متّصلا في بحثه عن شكله بسيرورات تعدّد اللّغات والأصوات وتفاعل الكلام والخطابات والنّصوص الأدبيّة وغير الأدبيّة»[1]. وبهذا فإنّ الرّواية تكسر القالب الكلاسيكيّ المتقيّد بالنّوع اللّغوي الواحد المألوف في فن أدبي معيّن، وتتماشى مع مختلف الظّروف، حتى أضحت مشحونة ومتعدّدة الأصوات والتّراكيب الهجينة.

نلاحظ أنّ لغة الرّواية بدأت «تتوسّع إمكانياتها التّعبيريّة من خلال توظيف مجموعة من ظواهر التّنوع الكلامي (variation verbale) بمختلف تمظهراته، باعتبار اللّغة تتحرك وتتطور وسط التّفاعل اللّغوي الحيّ في المجتمع»[2]. ويفهم من هذه المقولة أنّه من الضروريّ أن تتقيّد الرّواية في بناء لغتها بجملة من أنواع الكلام المختلفة، من منطلق كون اللّغة وليدة المجتمع قبل كلّ شيء، كما نجد كذلك أنّ «الرّوائي لا يعرف لغة واحدة ووحيدة فوق الشك والرّيبة ويقينيّة ساذجة(أو اصطلاحية) اللّغة تعطى للرّوائيّ مفكّكة ومتنوّعة كلاميّا»[3]. فالمتكلم في الرّواية ينفي وجود لغة واحدة مجسّدة فيها، فلابدّ له من الاستعانة في بناء قوام روايته على تنوّع وتعدّد لغويّ وكلاميّ ثريّ.

---

[1]– ميلود شنوفي، تعدد الأصوات وحوارية الفن الروائي في نظرية الرواية عند ميخائيل باختين ، ع12، جامعة البليدة 02، الجزائر، ص260، نقل الساعة: 14:43، يوم: 17 جويلية 2019،

– asjp.cerist.dz/en/article/54251.

[2]– نورة بعيو، التشخيص الفني للغة في الرواية لواسيني الأعرج وبنسالم حميش أنموذجا، جامعة مولود معمري، تيزي وزو– الجزائر، ص90.

[3]– ميخائيل باختين، الكلمة في الرّواية، تر: يوسف الحلاق، ط1، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1988، ص108.

ويجدر التّذكير أنّ بداية الرّواية متعدّدة الأصوات واللّغات أو الرّواية البوليفونية، كانت على يد **فيودور دوستويفسكي FyodorDostoyevsky** ،حيثامتازت رواياته بتنوع اللّغات واختلاف وجهات النظر، وتعدّد الأفكار وتباين المواقف، إذ كانت تعكس التّنوع الكلامي واللّغوي الذّي يميّز المجتمع، وهذا ما جعلها تتّسم «بكثرة الأصوات وأشكال الوعي المستّقلة وغير الممتزجة ببعضها، وتعدّدية الأصوات (Polyphone) الأصليّة للشّخصيات الكاملة القيمة»[1]. فجلّ روايات **دوستويفسكي** تميّزت بتنوع في اللّغات وتعدّد الإيديولوجيات، ووجود الآراء المتضاربة عند الشّخصيات المتنوّعة.

ونجد من ألمع الأصوات التّي برز صداها في الرّواية المتعدّدة الأصوات، ميخائيل باختين، حيث جعل في الرّواية «التّنوع الاجتماعيّ للّغات وأحيانا للّغاتوالأصوات تنوّعا منظّما أدبيّا»[2]. فيربط باختين جنس الرّواية بالخلط اللّهجيّ عند أفراد المجتمع، ممّا يضفي على العمل الأدبيّ بناء هيكليا وصياغة محكمة ومنسجمة.

يتبيّن استنادا إلى ما تقدّم أنّ الرّواية البوليفونيّة، تعتمد في جوهرها الكلّي على ظاهرة التّهجين اللّغوي، فهي تعدّ خاصية أساسيّة في بناء المتن الرّوائي، إذ يعدّ «الخطاب الرّوائي خطابا خليطا متّصلا بتعدّد اللّغات والأصوات... ولا تستحق الرّواية اسمها إذا لم تكن خليطا»[3]. والمقصود بهذا أنّه لن تكتمل صورة الرّواية إلاّ بالاستعانة من ظاهرة الخلط والتعدّد اللّغوي في كنهها الرّوائيّ، لتكون بذلك في صورتها الكاملة.

لقد شكّل باختين نظرته الخاصّة حول الرّواية وربطها أشدّ الرّبط بمفهوم الحواريّة (Dialogisme)، وفصّل ذلك في المثال حينما قال: «يدخل فعلان لفظيّان، تعبيران اثنان

---

[1]– ميخائيل باختين، شعرية دوستويفسكي، تر: جميل نصيف التكريتي، مراجعة: حياة شرارة، ط1، دار توبقال للنشر، دار الشؤون الثّقافية العامّة، الدار البيضاء– بغداد، 1986، ص10.

[2]– ميخائيل باختين، الخطاب الرّوائي، م س، ص15.

[3]– سعيدة كحيل، البناء الفني للرّواية الجديدة، قراءة في ثلاث روايات متميّزة، الرّواية: قضايا وآفاق، الملف:4، الجزائر ص199.

في نوع خاص من العلاقة الدلاليّة ندعوها نحن علاقة حواريّة، والعلاقات الحواريّة هي علاقات (دلالية) بين جميع التّعبيرات التّي تقع ضمن دائرة التّواصل اللّفظي»[1]. وهذا ما يجعل الحواريّة قائمة على لفظين لغويّين، وتعبيرين دلاليّين لإنتاج علاقة تحاوريّة وتواصليّة آتية عن طريق اللّفظ، وبالتّالي «يولد الخطاب داخل الحوار مثلما تولّد إجابته الحيويّة ويتكوّن داخل فعل حواري متبادل مع كلمة الآخر، بداخل الموضوع، فالخطاب يمفهم موضوعه بفضل الحوار»[2]. ونعني بهذا أنّ الحوار خاصية موجودة في كنه العمل الرّوائي فلا يمكن فهم فحوى الرّواية دون اللّجوء إلى الحوار.

يضيف باختين، الذّي قامت نظريته الرّوائيّة على أساس نظرية اللّغة الحواريّة قائلا: «إنّ كل رواية، إلى حد ما، هي نظام حواري من تمثيلات اللّغة، الأساليب، الوعي الملموس الذّي لا يمكن فصله عن اللّغة في الرّواية»[3]. فمحور الرّواية الأساسي يقومعلى التقيّد بمبدأ الحواريّة فيها، والذّي به يتّم التّبادل اللّفظي والثّقافي والحضاريّ، وهي نظرية لا يجب أن تهمل باعتبارها بؤرة هامة في المجال الأدبي.

نجد في سياق ربط التّهجين بالحواريّ ة ما ذهبت إليه الباحثة صليحة مرابطي في قولها: «عالم اللّغة في الرّواية عالم حواري تترابط فيه البنى والعناصر والأجزاء الداخليّة والخارجيّة للرّواية، مشكّلة علاقات حوارية تختلف باختلاف الفكرة واختلاف الأسلوب»[4]. ذلك أنّ طابع الحواريّة يمثّل بؤرة أساسية في النّص السّردي الرّوائي، فلا مناص من أنّها تعتبر إحدى خاصيات الرّواية الأساسيّة، وذلك ما نجده في نظرة باختين القائلة: «الرّواية المتعدّدة الأصوات ذات طابع حواري على نطاق واسع وبين جميع عناصر البّنية الرّوائية

---

[1]– تزفيتان تودوروف، ميخائيل باختين، المبدأ الحواري، تر: فخري صالح، ط2، المؤسسة العربية للنشر والدّراسات بيروت، 1996، ص122.

[2]– ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، م س، ص14.

[3]– تزفيتان تودوروف وميخائيل باختين، المبدأ الحواري، م س، ص131.

[4]– صليحة مرابطي، حوارية السّ رد في رواية تماسخث دم النسيان للحبيب السايح، جامعة مولود معمري،تيزي وزو– الجزائر، 2012، ص284.

توجد دائما علاقات حوارية»[1]. فللرّواية بصمة حوارية تخصّها وتتوارى في صفحاتها وتتجلى في مختلف الأساليب والصّيغ المركّبة في فحوى النّص السّردي.

بعد أن شاعت الرّواية البوليفونيّة في السّاحة الأدبيّة، أضحت تحمل في جوهرها عدّة خصوصيّات مميّزة لها، « فبعد دوستويفسكي دخلت التعدّدية الصّوتية (Polyphony) بقوة في عالم الأدب...، إنّه يجتاز في حواريته خصوصا بالاستناد إلى الخبرة الذاتيّة لشخصياته عتبة من نوع خاص، وتحقق حواريته نوعا خاصا (متميّزا) وجديدا من أنواع الحواريّة»[2].

ممّا جعل هذا دليلا على أنّ مخلفات دوستويفسكي في العمل الأدبي، كانت جدُّ مؤثرة فيه وعليه، من خلال تجسيد طابع الحواريّة تجسيدا جليّا.

يذهب أيضا باختين إلى إرجاع سرّ تقدّم الرّواية وتطورها إلى «تعميق الحواريّة وتوسيعها وإحكامها، وبذلك يتقلص عدد العناصر المحايدة، الصلبة التي تدرج في الحوار فيتغلغل الحوار بالتّالي إلى أعماق الجزئيّات وأخيرا إلى أعماق الذّرات في الرّواية»[3]. فالمبدأ الحواري يعدّ الرّكيزة التّي تبنى عليها الرّواية في أساسها الجوهري، فيتغلغل الحوار بهذا إلى أعماق الرّواية، بشكل دقيق جدّا حتى أنّه يمكن أن يصل إلى ذهن الكاتب ويغزو فكره ونظرته.

فضلا عمّا طرحه باختين، يجب أن يكون مبدأ الحوارية في الرّواية قائما بين طرفين غير متوافقين، بمعنى أن يكون كلا الطّرفين متخالفين في وجهات النّظر والمواقف والآراء والإيديولوجيات، وهذا يساعد على بناء نظام حواري متوازن ومتجانس، بحيث يفيد الطرفان بعضهما، كلّ حسب احتياجاته الشّخصيّة.

وضّح كذلك باختين أنّ «حوار اللّغات ليس مجرّد حوار القوى الاجتماعيّة في سكونية تعايشها بل هو أيضا حوار الأزمنة والحقب والأيام وحوار ما يموت وما يعيش، وهنا

---

[1]– ميخائيل باختين، شعرية دوستويفسكي، م س، ص59.

[2]– تزفيتان تودوروف، ميخائيل باختين، المبدأ الحواري، م س، ص127.

[3]– م ن، ص61.

يولد هنا ينصهرالتّعايش والتّطوّر معا في الوحدة الملموسة الصّلبة، لتنوع مليء بتناقضات لغات مختلفة»[1]. فقد سعى باختين هاهنا إلى الرّبط بين الكلام اللّغوي والنمط الاجتماعي السائد، فلا يمكن للّفظ اللّغوي أن يتعايش إلاّ داخل السّلوك الاجتماعي لا غير، عن طريق التّضارب والتّصادم الموجود بين تعدّدية اللّغات واللّهجات المستخدمة.

وبناء على هذا، فإنّ ميخائيل باختين كان الأب الروحي لمبدأ الحوارية، حيث قام ببلورة مفهومها، استنادا إلى دراسة أعمال دوستويفسكي الكثيرة والمتنوّعة، وذلك بغرض جعلها البؤرة الأساسيّة التّي تبنى عليها نظريته في الرّواية، فالحواريّة عنده هي التقاء ثقافتين اثنتين ودمجهما في قالب شكليّ موّحد.

تأسيسا على ما سبق عرضه، لا يمكن أن نتصوّر خلو الرّواية من التّراكيب الهجينة أو تعدّدية الأصوات واللّغات، أو من تداخلات لغويّة، فمنها تستمد الرّواية قوّتها الكامنة في التّفاعل اللّفظي الذّي يضج به أي مجتمع كان، فهي تخلط أصوات متنوعة اجتماعيّا، كما أنّ هذه اللّغات ذاتها لها دلالتها وأبعادها العميقة، وهي كفيلة ببناء المتن الرّوائيّ في أحسن صوره. كذلك يلجأ الرّوائيّ إلى التّهجين قصد التّنويع في أسلوبه الأدبيّ، بشكل فكريّ وجماليّ. وجدير بالذّكر أنّ الخطاب الرّوائي فضاء رحب، يفرض تعدّدية الإيديولوجيات ووجهات النّظر، وذلك من حيث اللّغة واللّهجة والأساليب المساهمة في تنظيم هيكليّ للرّواية فوظيفة التّهجين تكمن في كونه نسقا موّظفا قصد توحيد التّراكيب اللّسانيّة في المتن الأدبيّ.

[1]– ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، م س، ص124.

المبحث الثاني: أشكال التّهجين اللّغوي.

أولا: التّفرد اللّسانيّ.

ثانيا: التفاعل اللّغويّ في الازدواجية اللّغويّة.

ثالثا: التّفاعل اللّغويّ في الثّنائيّة اللّغويّة .

رابعا: اللّغة العاميّة في التّراث الشعبيّ من خلال الرّواية.

خامسا: تجلي اللّغة الأمازيغية في الرّواية.

يتّسم النّص الروائي بعدّة أشكال لغوية تتمخّض عن الملكة اللّغوية التّي يمتلكها الرّوائي، حيث يدرج في عمله السردي تنوعا كلاميّا يخدم النّص ويثريه لغويا، بشكل يجعله محط أنظار العديد من القارئين والمتلقين، بغية إيصال ألفاظه ومعانيه بشتى اللّغات التي يستوعبها المتلقي والتّي لها الفضل في أن تستعير اهتمامه نحوها.

تمكّن الكاتب الجزائري عز الدّين ميهوبي في روايته الموسومة بـ التّوابيت الصادرة عام 2003م، من جعل الحقل اللّغوي للرّواية فضاء رحبا متفتّحا على مختلف الثّقافات والحضارات، ذلك بالاعتماد على عدّة أنواع لغوية تتيح التّقرب من المتلقي واستحضاره في خضم أحداث النّص السردي، ليستطيع بذلك أن يعيش التّجربة التّي مرّ بها الراوي في حياته.

تشكّلت، في رواية التّوابيت، العدّيد من الأشكال اللّغوية التي استند عليها التّهجين اللّغوي، فنجد أنّ اللّغة العربيّة الفصحى هي المموّل الرئيس الذّي يسيّر نسق هذه الرّواية فلقد تجلت هذه اللّغة في جميع ثنايا النّص السردي. كذلك اعتمد ميهوبي اللّغة العامية، أو اللّغة الدارجة، في إنشاء روايته، فكانت معظم الحوارات والأحاديث باللّغة اليومية المتداولة بين عامة النّاس في أحاديثهم.

أولا: التّفرّد اللّساني:

إنّ المتأمّل في ثنايا رواية التّوابيت لعز الدّين ميهوبي، يدرك أنّ المتحدث قد أدرج في نصّه أنماطا متباينة من الاستخدام اللّغوي، ذلك «أنّ الجنس الرّوائيّ هو عبارة عن تنوع كلامي واجتماعي منظّم فنيّا، ومتباين الأصوات»[1].ومن الملاحظ أنّ جنس الرّواية فريد من نوعه لاستناده على تعدديّة اللّهجات واختلافها، تبعا للبيئة التّي تحيط بالفرد والمجتمع وما يميّزها من تفاوت وتخالف في اللّسان.

[1]– نورة بعيو، التّشخيص الفنّي للّغة في الرّواية لواسيني الأعرج وبنسالم حميش أنموذجا، م س، ص89.

يستدعي النّسق السرديّ عدّة أشكال وأنواع كلاميّة تتيح الاستعانة بلغات متنوّعة فهي حالة تلتزم بالمجتمع مدى الحياة، بحيث يصعب على الفرد أن يتحدث دون أن يتّسم كلامه المنطوق بالتّداخل اللّغوي بين مختلف اللّغات، فهذا يحدث تلقائيا وبفعل غير إرادي لكن هذا لا ينفي مكانة الفصحى في المجتمع التّي تعدّ اللّغة الأم فيه تلك التّي تعوّد عليها منذ نشأته.

والتّعدد اللّغويّ عند مختلف المجتمعات يتغاير ويتنوع، حيث «تختلف اللهجات في الأمة الواحدة تبعا لاختلاف أقاليمها وما يحيط بكلّ إقليم منها من ظروف وما يمتاز به أهله من خصائص»[1]. فكلّ شعب ولغته التّي يتميّز بها، نظرا لاختلاف البيئات وانشطار بعضها عن الآخر، وهذا ما يفضي إلى تنوع لغويّ،تتفاوت مواضعه.

تنقسم الشّعوب والمجتمعات كلّ حسب لغتها وحضارتها وثقافتها الخاصة بها، وهذا ما يولّد التّعدديّة والتنوّع، حيث«تتشعّب اللّغة إلى لهجات، وتتّخذ كل لهجة سمات خاصة تميّزها من أخواتها، ثمّ تنقلب اللهجة مع مرور الأيام إلى لغة مستقلة»[2]. فلكلّ أمة لهجتها الخاصّة، التّي تتفرع بدورها إلى لهجات أخرى فتتطور وتتنامى تدريجيّا حتى تتّخذ لنفسها مكانة تضاهي مكانة اللّغة الرسمية.

ويتبيّن لنا من خلال القرآن الكريم أنّ الله عزّ وجلّ، قد وضع لكلّ أمّة لسانها الخاص، مصداقا في قوله تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ، إِنَّ فِيْ ذَلِكَ لآَيَاتٌ لِلْعَالَمِيْنَ﴾. وهذا أبلغ دليل على تعدّد اللّغات وتنوّع الألسن في كلّ المجتمعات والأمّم المختلفة.

ونظرا لتعدّد الأمم والمجتمعات في لغاتها، فإنّه يتعذّر أن «يوجد بلد موحّد اللّغة ومصير الإنسانأن يكونفي مواجهة اللّغات المتعدّدة، لا أن يكون في مواجهة اللّغة

[1]– علي عبد الواحد وافي، علم اللّغة، ط9، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2004، ص179.

[2]– غازي مختار طليمات، في علم اللّغة، ط2، دار طلاس للدّراسات والترجمة والنشر، دمشق، 2000، ص58.

الواحدة»[1]. ما يدفعنا إلى القول، من جهتنا، بأنّه لا وجود لمجتمع يخلو من التّهجين اللّغويّ ذلك أنّ الفرد يخلق في بيئة متنوعة الألسن واللهجات، فلا مكان في نظرنا للاعتقاد القائل بأنّ المجتمع لا يتكوّن إلا من لغة وحيدة يتعامل بها أفراده في مختلف مجالات الحياة.

تعلن الرّواية منذ البداية احتضان اللّغة العربيّة الفصحى، كلغة رسميّة يتّخذها الكتّاب والأدباء ركيزة أساسيّة في إنشاء أعمالهم الأدبيّة، فنجد في بعض الأحيان أين تستخدم الفصحى لوحدها في الرّواية، وهذا ما أطلق عليه تسمية الأحادية اللغوية–التفرد اللّسانيّ Monolingue ، بحيث تجمع العربيّة الفصحى بين جميع البلدان العربيّة، حيث تعتبر لغة أبنائها الأساسية التّي تقاسمتها المجتمعات العربيّة، كما تعدّ لغة كتاب الله المعجز. وقد تشكّلت من الأصول التّاريخيّة القديمة التّي تتابعت عصرا بعد عصر آخر، فضلا عن أنّها لغة التّدوين والأدب، أي إنّها باختصار لغة المعرفة والتّحصيل الثّقافيّ والحضاريّ.

تتجلّى اللّغة العربيّة الفصحى، كما يمكن ملاحظة ذلك في أغلب جوانب الرّواية وهذا ما يبرز لنا عناية المبدعين الفائقة باللّغة العربيّة، حيث غدت الخيط الذّي تنسج به الأعمال والإنتاجات الأدبيّة، بحيث أنّه «لم تضارعها لغة من نسبها السّامي في مرونتها ودقّتها في التّعبير عن العلاقات التركيبيّة»[2]. فيمكن القول إنّ العربيّة الفصحى تعدّمن اللّهجات الأكثر إلهاما وقوّة وثراء سواء كان ذلك ثقافيّا أو حضاريّا، فهي من ضمن «أكثر اللّغات الثّقافيّة غيرة على نقائها وصفائها، وذلك لارتباطها بالإسلام، ومرجعيتها القرآنية، وقدرتها على الاشتقاق، إذ يكفيها أن ترجع إلى جذورها لتأخذ ما شاءت من الكلمات التقنية وذلك سر قوتها وثرائها، وقد تمكّنت بفعل تأثيرها الثّقافي والحضاري أن تخترق لغات أخرى في

[1]– لويس جان كالفي، حرب اللّغات والسياسات اللّغوية، تر: حسن حمزة، مراجعة: سلام بزي حمزة، ط1، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية للتوزيع، بيروت، 2008، ص77.

[2]– كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، تر: عبد الحليم النجار، ط5، ج1، دار المعارف، جامعة الدّول العربيّة، القاهرة 1977، ص43.

العالم.»[1]، وإن جاز لنا التّعبير يمكن القول أنّه من الصّعب إيجاد لغة تكتسب مقوّمات وأساليب وضوابط اللّغة العربيّة الفصحى، ذلك لجذورها المستمدّة من القرآن الكريم، التّي مكّنتها بلوغ المقام الذّي اعتلته اليوممقارنة ببقية لغات العالم.

ليس بوسعنا أن نعرض كلّ المقاطع اللّغوية التي صبغتباللّغة الفصحى، وذلك لكثرتها وتعدّدها، إلا أنّنا سنقدم بعضا منها في الجدول الذي يلي:

المقاطع باللّغة العربيّة	الصفحة
– شعرت بسائل بارد ينزاح ببطء نحو عنقي.	07
– قال لي وهو يقدم لي سيجارة من نوع كرافن ثمّ يتدارك بسرعة أعرف أنّك لا تدخن ولا تشرب القهوة وتتجنّب الموبقات ولا تعرف حتى لعبة الدومينو! قلت ومازلت على تلك العادة أكتفي بكأس من النعناع الأخضر.	40
– تذكرت مقالا نشرته في الجريدة بعنوان: الجامع والجامعة والجمعة وعلاقة هذه الكلمات مجتمعة بالسياسة.	41
– صارت العاصمة بالنسبة لي أشبه بقطعة ثلج جامدة في صحن مهجور.	
– في مقهى متعب بحكايات القتلى والمذبوحين والأطفال الذين لم يجبهم أحد عن سؤال الموت الذي اختطف أباءهم وأمهاتهم ومزّق دفاتر الدّروس المؤجلة.	95 182

تجسّد هذه النّماذج استعمال اللّغة العربيّة الفصحى المتميّزة بقواعدها المعيارية وأبعادها البلاغية والجمالية، حيث يظهر أنّ ميهوبي، باعتباره أديبا مبدعا بالعربيّة استعان بالفصحى لأنّها تعتبر أهم مكوّن في عملية الخطاب الرّوائي، والتي من دونها لا كينونة للنّص، فهي التّي تعزّز من قيمته ومكانته؛ فالتّعابير والألفاظ الموظفة في نّص

[1]– صالح بلعيد، اللّغة العربيّة: من محنة الكولونيالية إلى إشراقة الثّورة التّحريريّة، منشورات المجلس الأعلى للّغة العربيّةالجزائر، 2005، ص25.

ميهوبيالسرديّ ذات نسق مميّز، يطبع لغته وأسلوبه، مرتبط في قسم كبير منه بتوظيف الفصحى والاغتراف من معجمها الواسع.وهذا من بين ما جعل الروائيّين يوظّفونها في كتاباتهم يبنون عليها نسق أعمالهم المتنوّعة، ففي الأمثلة المدوّنة في الجدول السابق وغيرها، لجأ الكاتب إلى الأساليب المجازية الأدبيّة، التّي أكسبت النّص خصوصيته الجماليّة ووسّعت من طاقاته الدلاليّة.

يبرز الحوار بشكل ملحوظ في هذا البناء الرّوائيّ، فقد تعدّدت أشكاله ولغاته، لكن مع هذا يبقى الحوار بالفصحى الأسمى والأرقى، ويظهر هذا في المثال الثّاني، الوارد في الجدول وفي لمواضع أخربمن الرّواية، حيث استعمل الرّاوي الفصحى في معاملاته مع النّخبة الرّاقية والمثقّفة في المجتمع، فكلّما زاد استعمالها بين الأفراد والأمم زادت ثراء وتداوليّة، وإذا كان العكس «تتجمد اللّغة وتتكلس إذا لم تداولها الألسنة، وتتعهّدها الأقلامبالتّهذيب والتّجديد والتّطوير الإيجابيّ الذّي يواكب تجدد الحياة الفكريّة والحضاريّة لدى الأمة، (...)، التّي تضاف إلى أسهمها التي تقوي تنافسينها في سوق اللّغات المعاصرة»[1].فبات من الضروريّ إذن أن يزاول الأديب والمتلقي، كلّ من جهته، استعمال الفصحى حتى لا تندثر من الوجود، حتى يظلّ عطاؤها مستمرا ومواكبا للجديد.

إلى جانب هذه الأمثلة نجد بروزا واضحا للّغة شعرية نابضة، طعّمها الكاتب بلسان فصيح بليغ، وتعدّ مختلف المقاطع الشعريّة التّي تضمّنتها الرّواية، نتاجا لإبداعات الراوي الذي كلّما كان صدره يضيق يلجأ إلى الكتابة الشعرية التّي غدت بالنسبة إليه المتنفّس الوحيد الذي يرجع به توازنه بعد فقدانه إياه، جراء الصّدمات التي يتلقّاها يوميا، ولهذا نجد الرّواية مفعمة بمقاطع شعرية متقنة الأسلوب والصياغة، جاءت في الصفحات التالية (135، 136، 137، 138، 139، 140، 141، 143، 144، 155، 156، 157.

[1]– عبد الله آيت الأعشير، اللّغة العربيّة الفصحى: نظرات في قوانين تطورها وبلى المهجور من ألفاظها، ط1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الوعي الإسلامي، الكويت، 2014، ص76.

175...) وغير ذلك من الصّفحات، فاللّغة الشعريّة ملجأ الأديب الرّاوي حينما يعمّ اليأس والانكسار، وهي من بين ما يشدّ المتلقي أكثر ويُحسِّسه باللّذة وحلاوة الغوص في أعماق الرّواية.

تضطّلع العربيّة الفصحى بدور فعّال في نسج أحداث هذه الرّواية، وإعطائها سمة الجمال والشعريّة في عباراتها وتراكيبها. فعلى الرّوائيّ أن يكون قادرا على توليدمثل تلك الأساليب واستثمارها واستعمالها في أحسن الصيغ الدّلالية والمجازية، كي يكون قادرا على إصابة الأفكار والمعاني والأساليب التّي يريدها ويختارها كطريقة مثلى للتأثير في المتلقي فلا مناص من القول «إنّه ليس لشعب ما، ثروة أثمن من لغة أجداده. في تلك اللّغة تكمن كلّ ذخائر الفكر والتقاليد والتاريخ والفلسفة والدين، وفيها ينبض قلب الشعب، وتتحرك روحه»[1]. فالفصحى تعدّ الكيان الروحي للمجتمع، ولغة دسمة المكوّنات منذ الأزمنة الغابرة، «فإن كلّ أمة من الأمم تحتاج لغة موحّدة تزيدها تجاوبا وتماسكا، فتكون موحّدة»[2]. وبهذا أضحت مسألة توحيد اللّغة بين الأمم والمجتمعات، مع تطورها المستمر اليوم، ضرورة استلزامية في البناء الأدبي.

ثانيا: التّفاعل اللّغوي في الازدواجية اللّغويّة:

تكثر أشكال الاستخدام اللّغوي في الجنس الأدبي الواحد، وأكثرها رواجا هو ما يعرف بازدواجية اللّغة، التّي تتجلّى في توظيف اللّغة العربيّة الفصحى مع اللّغة العاميّة الجزائريّة وهو ما أصبح شائعا في الجنس الرّوائيّ، بالأخص في الآونة الأخيرة. فلم تعد اللّغة العربيّة الفصحى تروي عطش الكتاب والأدباء لخلق متن روائيّ متسق ومنسجم، وجاذبيّة، في الآن

[1]- عبد الله آيت الأعشير، اللّغة العربيّة الفصحى: نظرات في قوانين تطورها وبلى المهجور من ألفاظها، م س، ص73.

[2]– أنيس فريحة، اللّهجات وأسلوب دراستها، ط1، دار الجيل، بيروت، 1989، ص05.

نفسه، وحافلة بأجمل الصور الممكنة، حيث أصبح هذا المزج بين اللّغتين ضربا من الإبداع اللّغوي الذي يضفي على النّص نكهة خاصة به، تمنحه مقوّمات أساسية.

تحتاج كل لغة في النّص الرّوائي إلى لغة أخرى لتسندها، فتتحاور اللّغات و اللّهجات مع بعضها، وفي نص ميهوبي، نلاحظ وجود ازدواجية الصوت، فقد يطغى الصوت الأوّل على الصوت الثّاني فيجعله بارزا أكثر، ممّا يعطي تركيبا هجينا مثريا لشكل الرّواية و فحواها، فاستنادًا على هذا يظهر لنا أنّ الرواية قد تحدّدت باعتبارها مبنية على ثنائية صوتية بارزة فهي «تجعل الشّخصية تنفتح وتغادر الشبكة المنغلقة في إطار ضمير "هو" وذلك يجعلها ضمير"أنت" الحر فعوض تحديد الشّخصية نجد الكاتب يسألها ويناقشهاويدخل معها في حوادث لا نهائية»[1]. ومن هنا يتبيّن لنا أنّ الشّخصية لم تعد تقتصر على الحوار الداخلي فحسب، بل تتعدّى ذلك إلى اعتماد آلية الآنا والآخر، استنادا على الثّنائيّة الصوتية المبثوثة في الحوار الذّي يتّم توظيفه. ولعلّ اللّغتين الأكثر تداولا في رواية التّ وابيت تتمثلان في اللّغة العربيّة الفصحى واللّغة العامية، فقد تعاقبت وتفاعلت فيما بينها وهذا ما سمّاه **ميخائيل باختين** بالهجنة القصدية–الهجنة الإرادية التّي سبق وأن أشرنا إليها آنفا في مستهلّ هذه الدّراسة، ويتجلّى لنا هذا من خلال الأمثلة التّي عدّدناها في الجدول الآتي:

تداخل اللّغة العربية الفصحى بالعامية	الصفحة
– الجواب تلقاه في الغرفة رقم 17.	08
– الطفلة عندها حرارة ...وماعنديش كاتالجين .	23
– خلينا من هذا الموضوع.	35
– شوف ..أنا الأن بصدد قراءة مقال عن حياة الممثل السينمائي الأمريكي	35

[1]– عبد المجيد الحسيب، الرواية العربيّة الجديدة وإشكالية اللّغة، ط1، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، 2014 ص62.

جيمس دين ..	
– رددت التحية وأنا أقول له جابك ربي في الوقت.. عندي ساعة ونص مامرت ولا سيارة أجرة ؟	44
– اليوم الكلمة للقدم موش للقلم؟	45
– هات لي كأس ماء وحبة أسبيرين راسي راه يغلي راح يتفجر؟	51
– قلت لها مدام هات البوكي من فضلك.. نحيت الوردة وقلت لها تقدري تاخذيها معاك، لكن هذا التراب ما يروحش لفرنسا.. ماتوا عليه الرجال، وسيّحتوا في الأرض تحت الشجرة.	65
– شاف الشرطي الفرنساوي في وجهي مليح وقالي "اشحال من يوم رايح تبقى في فرسا؟ قلت له تأكد بللي مانيشرايح نقعد 132 سنة.	66
– قلت لك مواطن هارب منكم.. وأنت شكون؟	69
– عنده ساعة منين راح..	79
– اسمح لي إذا جيت في وقت متاخر.	81
– مخلطين... شرطية ودرك.. وسألوا على المدير العام وعليك.. وبلغونا باش تتصل بهم.	82
– حرام.. شاب مثلك يلعبوا بيه؟	83
– ولد الشعب اللي يعمل في جريدة تحمل اسم الشعب عمره ما يلعب ببلاده؟	83
– تعرف أنني من الذين "ربوا الكبدة" على "الشعب".	91
– وأنت حضر لي شوية بقلاوة...	108
– نحّ كلّ الأوراق اللي فيها كلمة "صحفي" .. الطريق ماهيش مليحة.	110
– ناس بكري قالوا إذا سقط الشيء واتكسر يعني "دافع بلاء".	111
– ما زال الحال.. نشرب قهوة في ساحة "موريس أودان" وبعدها نأخذ سيارة	134

للوزارة..	
– يا وليدي.. الدولة تشبه الحجرة، إذا سقطت عليها تنجرح.. وإذا سقطت عليك تنجرح.. والحديث قياس؟	164
– ما كانش ربّما.. التاريخ هو التاريخ. وأنا كنت أستاذ لمادة التاريخ.	169
– صباح الخير..راك في المكتب؟.	197
– بارك الله فيك..راك فهمت!	206
– وأنا نقول وين شفتك.. مرحبا بك.. المهم كونوا رجال وساعدوا بلادكم؟	208
– يا عجوز.. ادع لي حتى نهبط بالشوية.. أما العلالي فما عندي ما نزيد. الحمد الله؟	216
– المهم أغلق الباب مليح.. وإذا حصلت حاجة لا قدر الله اتصل بي.	235
– كثر خيرك... عندي موعد الآن.. وعنواني راك تعرفوا.	246

يتبيّن لنا من خلال هذه الأمثلة المدوّنة في هذا الجدول، أنّ اللّغة العربية الفصحى قد تشرّبت من اللّغة العامية ما يكفيها، والتّفاعل الألسني الذّي جرى بين اللّغتين كان بارزا وشدّيدا في ثنايا الرّواية بحيث أنّه «لا تعتبر هذه المزاوجة بين اللغات لعبة لفظية مجردة، بل هجنه واعية قصديه لا يتوخى منها الكاتب الحقيقيّ سوى التّمكن الأدبي من تنظيمها وتشخيصها بطريقة دقيقة ومنظمة، ومفكر فيها بإمعان حتى تتميز عن التّهجين السطحي والعفوي والمبتذل»[1]. فهذا المزج بين اللّغتين لم يكن بمحض الصدفة، ولا بطريقة عفويّة تلقائيّة، بل وظّفه كتركيب هجينوواع، وبشكل مقصود، فلدى الكاتب حق إدراج اللّغة العاميّة داخل اللّغة الفصحى،اعتمادا على أسلوب منسق ومنظم ومدروس بإتقان و براعة وذلك بعد تفحّصه للألفاظ المختلفة وإظهار قدرته على المزج بينهما بإحكام، حتى لا تكون النتيجة

[1]– محمد الدّاهي، التشخيص الأدبي للّغة في رواية الفريق لعبد الله العروي، ط1، دار الأمان، الرباط، 2006، ص89.

مغايرة للتّهجين غير الواعي وغير القصدي، والذّي يكمن في إدخال تراكيب هجينة داخل الملفوظ السردي بطريقة عفوية ولاإرادية، حيث يوظّف التّهجين عشوائيا دون الالتزام بأيّة ضوابط، وهذا ما قد يجعل تلك الوحدات الهجينة تمتاز بالرّداءة.

فمن الملاحظ في كامل الأمثلة الواردة في الجدول، أنّ التّراكيب اللّغويّة في الرّواية استدعت «تهجين الفصحى ببعض الوحدات العاميّة ذات الطابع المحلي»[1]. وهذا أمرمستحسن، لأنّ العامية تشبه إلى حدّ كبير اللّغة العربيّة الفصحى،باعتبارها مستمدّة ومستقّاة من الفصحى في أصلها، ولهذا نجد أنّ الرّوائيّ عمد إلى مزج الوحدات العاميّة مع الألفاظ الفصيحة لإضفاء طابع مؤثر ومغري لاجتذاب القارئ.

تعد اللّغة العربيّة الفصحى تمهيدا للّغة العامية التّي «تحتفظ بصلة القربى باللّغة الأم فهي مزدانة بالألفاظ والمصطلحات الفصيحة التّي استعملها العرب الأوائل»[2].ما يجعل اللّغة الدارجة مشحونة بألفاظ ذات طابع فصيح، فقد كانت اللّغة العربيّة الفصحى مهدا للّغة العاميّة بالبروز، فمنها اكتسبت العاميّة معجمها اللّغويّ، ومن خلال الفصحى وقاموسها الغنيّ استطاعت العامية أن تثبتمكانتهااللّغويّة من بين اللّغات المحلّية المختلفة، رغبة في إنماء وتطوير ملفوظاتها في الساحة الأدبية اللّغوية.

انتقل "ميهوبي" في روايته، وفي مواضع عديدة من اللّغة العربيّة الفصحى إلى اللّغة العامية، براحة تامة، ذلك لأنّ «الفصحى عنده ليست شيئا مقدسا لا يجوز التّعدي عليه فلا يتردد في خدشها وجرحها بتعابير عامية كلّما أحسّ بقدرة هذه الأخيرة وإمكانياتها على التبليغ

[1]– م ن، ص93.

[2]– عبد الكريم عوفي، مصطلحات الأطعمة في العامية الجزائريّة، وصلتها بالعربيّة الفصحى، منتدى فيض القلم، نقل الساعة: 13:20، يوم: 31 جويلية 2019، https://9alam.com/connuty/threads/mstlxhat-alatgm-fi-alyami-algzari-usltxa-balyrbi-alfsxh,21489/.

والتعبير»[1]. فاللّغة العامية إذا ما طغت على نص أدبيّ ما، لا تشوه صورة الفصحى بل تضفي عليها لمسة خاصة تجعل الخطاب أكثر تأثيرا وإيصالا للمعنى، بأبلغ صورة ممكنة.

ارتبطت اللّغة العامية بالفصحى إلى حدّ كبير، حتى أصبحت هاتان اللّغتان تستوليان على عرش اللّغات، خاصة في النّظام الرّوائيّ السّرديّ، فقد أصبحت العاميّة «تستعمل في قضاء الحاجات التواصليّة اليومية بعيدا عن المستوى الرسمي»[2]، فتوظيف العامية في الرّواية يكون إلاّ بغرض خلق تواصل بين شخصيات الرّواية دون التقيّد بشكليات أو ضوابط فيتمّ اعتماد الازدواجية اللّغوية بكل حرية وأريحية في الخطاب الرّوائيّ وحواراته غير المنتهية.

ظهرت هذه المزاوجة بين الفصحى والعامية في شتى المواضع، كما هو موضّح في الجدول السابق، حيث أنّ العامية يمكن الاستعانة بها لتطويع الفصحى، حتى تكون لغة كتابة وتدوين، «فتأكيد القربى بين العامية والفصحى يهبنا الطمأنينة والثّقة في معالجة الكتابة»[3]. فقد تخضع الفصحى إلى تغير يطرأ عليها عند دخول العامية وتطفّلها على ألفاظها، ما يجعل العامية لغة التّسجيل والتّدبيج، فكلّما كانت الصّلة بين الفصحى والعامية وطيدة ووثيقة كانت الرّاحة المتولّدة أكبر، وهي راحة مصدرها الرّغبة في تحسين وإنماء التّأليف والتّدوين.

لا بأس أن نذهب في مسألة تفاعل الفصحى والعاميّة في النّص الأدبيّ، إلى ما ذهب إليه الدّارس أنيس فريحة، ونقول: «أفلا نستطيع أن نطعّم اللّغات الدارجة باللّغة الفصيحة تطعيما يبعدنا عن حذلقة علماء اللّغة ورطانة عوام الناس في وقت واحد، فيوصلنا إلى

[1]– نهلة موهوب وشفيعة مولوجي، جمالية الخطاب البوليفوني في رواية البيت الأندلسي، مذكرة لنيل شهادة الماستر في اللّغة والأدب العربي، إشراف: موسى عالم، جامعة بجاية، بجاية–الجزائر، 2015/2014، ص34.

[2]– أحمد برماد، أزمة التّداخل اللّغوي بين العامية والفصحى في المدرسة الجزائريّة، مجلّة الأكاديمية للدّراسات الاجتماعية والإنسانية، ع19، جامعة جيجل، قسم الآداب واللّغات، جيجل–الجزائر، 2018، ص58.

[3]– محمود تيمور، مشكلات اللّغة العربيّة، مكتبة الآداب للطّباعة والنّشر والتّوزيع، مصر، 1956، ص160.

فصحى متوسطة، ومعتدلة؟»[1]. فلابدّ لنا إذا من خلال هذه الجدلية أن نسعى إلى تفعيل العاميّة بالفصحى إلى أقصى حد ممكن، تجاوز المنطق التّشدد الذّي يدفع بعض أهل العلم واللّغة، إلى التّشبث في استخدام اللّغة الموحّدة، والسّعي وراء تفصيح العامية، فلماذا لا ندمج الاثنتين معا كي يشكّلا لغة عربية وسطى، مستوية المباني والمعاني في آن واحد؟.

لقد رصّ الكاتب نصّه بعدّة وحدات تنتمي إلى اللّغة الدارجة، ممّا أضفى على لغة الرّواية الفصيحة وتراكيبها نسقا محكم الصّياغة، تجلّى في جملة من الأدوات ذات طابع محلي ويومي، نحو (شوف، موش، واش، مانيش، شكون، باش، شوية، ماكانش، علاه...) فهذه الألفاظ تنتمي إلى القالب العامي الذي عزّز العبارات الفصيحة مكسبا إيّاها متانة وصلابة في نسج التراكيب وإحكامها، جاعلة إيّاها وسيلة للإغراء لمن يستهويه مثل هذا التفاعل اللّفظي في العمل الروائي.

يؤكد **محمد الدّاهي** أنّ «كثيرا من الجمل بالعامية مرصّصة حسب قالب تركيب الفصحى نفسه»[2]، فاللّغة الدارجة واللّغة الفصحى أصبحتا وجهين لعملة واحدة، وبالأخص في الطابع الإبداعي الأدبي، فلأنّ الفصحى تمتلك مقاما أسمى وأرقى، تتأثر بها العامية فتأخذ منها بعضا من ألفاظها وتعيد صياغتها بشكل دارج وعامي، كي يناسب ذلك كلّه التّوابيت العملية التّواصلية التي تحدث بين أبناء المجتمع.

علاوة على الأدوات الدارجة المطبوعة في رواية استدعى النّص من الرّوائيّ استخدام عدة كلمات تنتمي إلى الحقل الدارج، ويعتمدها كافة أفراد المجتمع الجزائري في محادثاتهم اليوميّة، عدّة مقاطع كلامية نسجت على منوال ألفاظ الدارجة، ندرج بعضها في الجدول أسفله:

[1]– أنيس فريحة، اللّهجات وأسلوب دراستها، م س، ص07.

[2]– محمد الدّاهي، التشخيص الأدبي للّغة في رواية الفريق لعبد الله العروي، م س، ص89.

الكلمة بالعامية	الصفحة
– راسي راه يَغْلي.	51
– ما كان لاه تعملوا معايا حوار.	63
– واش حكاوا عليّ.	64
– واش تشربوا	65
– نقْعِد	66
– كيفاه ماصادروهاش	88
–عْنده عامين ماسمعش صوتكْ.	153
– إذا توسخت تعاود تغسلها.	227
– واش يخدموا هذو النواب.	229

ما يلاحظ في هذه العبارات العامية هو أنّ لمجملها علاقة وطيدة بالعربيّة الفصحى وهذا راجع إلى أنّ اللّغة العامية أخذت جلّ مفرداتها من اللّغة الفصيحة، ويمكن تعليلهذا بأنّ الدارجة قد تأثرت أشدّ التأثر باللّغة الفصحى في مبادئها ومقوّماتها وصوغ تراكيبها، ما جعلها تستمد عباراتها وكلماتها من القاموس العربي الفصيح، فقد «تحضر العامية باعتبارها شكلا لغويا أخضعه الرّوائي للتّفصيح في أغلب الأحيان ودسّه بأشكال متقاطعة بين تلافيف الفصحى، محاولا الارتقاء بالعامي إلى مستوى اللّغة الفصيحة، ممّا جعل كلا منهما يجاور الآخر ويتفاعل معه تفاعلا بناء»[1]. فسعى الرّوائي إلى جعل اللّغة الدارجة متساوية مع اللّغة العربيّة الفصحى ومنزلتها الرّفيعة، وذلك بدمج بعضهما ببعض لخلق الأسلوب المؤثر واللافت للانتباه الذّي يأسر أنفس القراء.

[1]– جوادي هنية، التعدّد اللّغوي ، في رواية فاجعة الليلة السابعة بعد الألف للأعرج واسيني، مجلة كلّية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، ع6، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، جانفي 2010، ص15–16.

يؤكد رمضان عبد التواب أنّه «مع ذلك يظلّ هذا الازدواج موجودا، غاية ما هنالك أنّه يحدث نوع من التقارب، بين لغة الحديث واللّغة الأدبية، بحدوث التفاعل بينهما، فتتأثر كل واحدة منها بالأخرى»[1]. فلا بأس من التذكير بوجود علاقة تربط بين العامية والفصحى بحيث أنّهما لغتان متقاربتان إلى أبعد درجة، وكثيرا ما تستعمل اللّغة الشائعة المتداولة إلى جانب لغة الضّاد، فتكمّل الثانية الأولى، وينشأ بينها رابط يسمح بأن تتفاعل كل واحدة مع الأخرى، ما يخلق تأثيرا جسيما يحدث بين كلتا اللّغتين، ممّا يكسبهما اتساقا وانسجاما لدى توظيف كل منهما في العمل السردي.

من الممكن أن تحل اللّغة العامية محل اللّغة الفصحى، ذلك بغية تقريب معجمها الفصيح والنامي بشكل أكثر من الفرد والمجتمع، بحيث يمكن أخد عدّة ملفوظات غير مفهومة ومبهمة في لغة الأدب، لتتحوّل إلى لغة شائعة تكون أكثر وضوحا وسهولة فهناك كثير من الأدباء اتّخذ اتجاها نحو جعل العامية مكان الفصحى، وذلك يعود إلى أنّ الأولى أبلغ وأقرب من الفصحى، في بعض الأحيان،والغاية المرجوّة هي التأثير أكثر في المتلقي فاللّغة الفصيحة نادرا ما تجذب القرّاء في الآونة الأخيرة، لأنّها لغة ظهرت منذ القدم ولم تعد لها مكانة آسرة في نفسية النّاس، على عكس العامية، التّي تمثل لهجة الشارع ولغة العامّة اليومية التّي يتواصل بها أبناؤها بشكل متوال، هذا ما يسمح لها أن تكون أكثر قابلية للفهم بشكل أسرع عند المجتمع.

- تجلي الحوار بين الفصحى والعامية في الرّواية:

يفرض النسق الحواري نفسه في معظم صفحات عمل ميهوبي الرّوائيّ، إذ يترك صدى يتردد في كل جوانب الرّواية، تأكيدا على ضرورة العناية بالحوار باعتباره عاملا أساسيا في الإبداع السردي، كما أنّ الطابع الحواري يتوغّل داخل المتن السّرديّ، فيشكّل

[1] - رمضان عبد التواب، فصول في فقه اللّغة، ط6، مكتبة الخانجي للطّباعة والنّشر والتّوزيع، 1999، ص 06.

ظاهرة لغوية فريدة من نوعها، تساهم في بناء الإيديولوجيات المتعدّدة والآراء المختلفة وتؤسسلمناقشة حرّة متنوّعة، بغرض تكريس حواريّة فعليّة.

تخلّل نص ميهوبي عدّة مقاطع تشهد على القالب الحواري في بناء صيغها وتراكيبها، «إذ يتيح التفاعل بين المتخاطبين، فالقول لا يكون إلاّ حواريا، ومعلوم أنّ بلاغة الإقناع لا تقوم إلاّ في علاقة بالآخر، ولا تشتغل إلاّ حيث يشتغل الحوار»[1].هذا ما يسمح للخطاب بأن يكون مبنيا في أساسه على الحوار، لأنّه بؤرة أساسية كي يتّم التواصل والتفاعل فيما بين الأفراد والمجتمعات، فهو «أهم أشكال التّفاعل اللّفظي»[2]، التّي يعتمدها الكاتب في بناء قوام عمله الأدبي.

ومن الأمثلة الواردة في نص ميهوبي نجد عددا كبيرا من النّماذج التّي جمعت الحوار بين اللّغة الفصحى واللّغة العامية، فكان الروائيّ يستخدم تقنية الحوار لتبيان التداخل الموجود بينهما في الرّواية، هذا ما يظهره في المقطع الآتي:

« إذا جاوا صحابنا كل واحد يعوّل على رجليه..

واللي ما يقدرش؟ قال القهوجي ملمّحا إلى الشيخ.

يذبحوه! قال التونسي

يذبحو التبن! ردّ الشيخ وهو يبرز شجاعته، وواصل:

فرنسا بقوّتها وطياراتها ما تقدرش..وكمشة من الذّر يركعونا.

آه لوكان جات الدولة دولة..وين راك يا موسطاش»[3].

من خلال هذا النموذج يتبيّن لنا أنّ الكاتب اعتمد في توظيفه للازدواجية اللّغوية على نسق حواري، حيث يستعمل جملة باللّغة العامية تتبعها جملة باللّغة الفصيحة، كما أنّ

---

[1]– عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ط1، منشورات ضفاف، لبنان، 2013، ص71.

[2]– م ن، ص183.

[3]– عز الدين ميهوبي، التوابيت: في رواية ما حدث للصّحفي، ط1، دار أصالة للنشر والتوزيع، دار هومة للطبع، الجزائر 2001، ص122.

«موقف اللّغات التي تتقاطع فيه وتتداخل، إحداها من الأخرى كموقف أطراف الحوار (...)إنّه نقاش بين اللّغات، نقاش بين أساليب لغوية إنّه ليس حوارا يتّصل بالموضوع وليس حوار معان مجرّدة، بل حوار وجهات نظر لغوية مشخّصة لا يمكن ترجمة إحداهما إلى لغة الأخرى»[1]. ومن هنا يتبيّن لنا أنّ الحوار ليس فقط تبادل أطراف الحديث حول تيمة معيّنة فحسب، بل يتعدى ذلك إلى عدِّه نقاشا بين لغتين مختلفتين، بطريقتين مغايرتين، كي يثبت كل من الطرفين وجهة نظره حول رأي معيّن، وهذا ما نجده في غالبا في الرّواية المتّعدّدة الأصوات، والرّواية التي بين أيدينا أبرز مثال على ذلك، حيث يتخلّلها عدّة أصوات ونبرات صوتية مختلفة، ممّا يخلق طابعا مغايرا للإبداع اللّغوي الرّوائيّ.

تجلت في الرّواية عدّة ألفاظ تنمّ عن الدارجة الجزائريّة المنتشرة بكثرة بين عامّة النّاس والمميّزة لنطقهم اليومي المتداول، ومن هذه الألفاظ ما نستخلصه في الجدول التّالي:

[1]– ميخائيل باختين، مختارات من أعمال ميخائيل باختين، تر: يوسف الحلاق، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة 2008، ص320.

الألفاظ العامية	مقابلها بالفصحى
– بوبي	– الكلب
– اللّوطو الرّياضي	– الرهان الرياضي
– البوليتيك	– السّياسة
– الشميعة	– دواء مضاد للحرارة
– التوارق	– عرب الصحراء الكبرى.
– الهراوة	– العصا الضخمة
– قارو	– سيجارة
– الكرّوسة	– سيارة
– خدمة	– العمل
– موسطاش	– الشوارب

هذه عيّنة الكلمات التّي برزت في الرّواية ضمن اللّغة العامية، فهي كلمات وظّفت على حسب تداولها في واقع المجتمع الجزائريّ اليوميّ، وبالتّالي فإنّ «لغة العامة أو لغة العوام معناها: هي تلك الألفاظ التّي يكثر دورانها على ألسنة غير العارفين بلغة العرب وأطلق على هذه الألفاظ عامية باعتبار كثرة استعمال العوام لها في محادثاتهم ومخاطباتهم»[1]. فلا غنى عنها في حواراتهم ونقاشاتهم التي تلقى بشكل دائم ومتواصل فهي اللّغة التي يتقنها كلّ أفراد الشّعب، صغيرهم وكبيرهم، فقد رافقتهم منذ أن رأت أعينهم النور.

يتبيّن لنا بعد إيراد كلّ هذه المقاطع السّردية، التّي جمعت بين اللّغة العامية واللّغة الفصحى، أنّ المزج كان في جوهره بين لغتين متباينتين في الدرجة والمستوى، ولكن الملاحظ أنّ اللّغة العربية الفصحى باعتبارها لغة التّعليم والثّقافة الرسميّة، تستمد اللّغة الدارجة معظم ألفاظها منها، باعتبارها منحدرة ومتفرعة من لغة رسمية تختلف من أمة

[1]– أحمد عبد الرحيم أحمد فراج، اللّهجات العربيّة بين الفصحى والعامية، جازان– المملكة العربية السعودية، ص147.

لأخرى؛ حيث «إنّنا نعتقد أنّ كلمات لغة ما، إنّما هي ملك لتلك اللّغة التي صقلتها»[1].عيد بعثه من جديد، كي يصبح أكثر تجديدا وتطوّرا، هذا ما يحدث مع اللّغة العامية عندما تستقي ألفاظها من الفصحى.

إنّ التفاعل اللّساني الحاصل بين لغتين مختلفتين ماهو في الحقيقة إلاّ تركيب هجين وهو «ذلك القول الذّي يعود بسماته النحوية والتأليفية إلى متكلم واحد، إنّما يختلط فيه، في الواقع، قولان، طريقتان، في الكلام، أسلوبان، لغتان، أفقان من المعاني والقيم»[2]. فهكذا تبنى الازدواجية اللّغوية على أساس نهجين متغايرين في طريقة الكلام، فاللّغة الأولى(الفصحى) تبقى هي الأصل واللّغة الأم ذات الوزن الثقيل، واللّغة العامية هي تلك اللّغة التي تسعى «وتتطلع إلى اللّحاق بركبها»[3]. ما يجعل العامية لغة لطالما كان هدفها الوصول إلى درجة الفصحى في كلّ مبادئها وتراكيبها وضوابطها.

ثالثا: التّفاعل اللّغويّ في الثّنائيّة اللّغويّة:

تشكّلت في العمل الأدبي الذّي أبدعه "ميهوبي" عدّة تراكيب لغوية هجينة انصهرت جراء التّعدد اللّغوي السائد في الرّواية، فلم تكن الثّنائية اللّغوية التي جمعت كلا من اللّغة العربية الفصحى وأحيانا اللّغة العامية، مع اللّغة الفرنسية، حاضرة بقوة كما كان الحال مع الازدواجية اللّغوية التّي برزت بشكل ملحوظ، فلقد كانت بصمات هذه الثّنائية اللّسانية موجودة في مواضع نادرة جدا، يمكن أن نعدّدها في الجدول أدناه:

---

[1]– صالح بلعيد، اللّغة العربيّة، نصف سنوية محكمة تعنى بالقضايا الثّقافيّة والعلمية للّغة العربيّة، المجلس الأعلى للّغة العربيّة،ع9، الجزائر، 2003، ص14.

[2]– ميخائيل باختين، مختارات من أعمال ميخائيل باختين، م س، ص87.

[3]– شوقي ضيف، تحريفات العامية للفصحى في القواعد والبنيات والحروف والحركات، ط1، دار المعارف، القاهرة 1994 ص07.

الكلمة بالفرنسية	الصفحة
– شربت السيروsirop	52
– ما كان لاه ديرومعايا حوار interview.	63
– ما عندي دراهم، ما عندي جواز سفر passeport.	65
– قال لأصدقائه خذوني إلى قوس النصر arc de triomphe.	66
– كان يصرخ كالمجنون: فيفا سوسطارةvivasoustara.	139
– في الفرنسية تكتب بالهاء فنجدها histoire.	147
– نديرواla mort.	149
– قناة TF1 الفرنسية.	200
– يتم مزجها بسائل نووي ADN.	263

إنّ إدراج "**عز الدّين ميهوبي**"للّغة الأجنبية (اللّغة الفرنسية) في عمله الرّوائي إلى جانب اللّغة العربيّة الفصحى، كان محدودا، ويمكن عدّه على أصابع اليد، وهذا التّوظيف لم ينبع عن غير دراية، فما أسهم في ظهور هذه اللّغة هو تلك البقايا والآثار التّي تركت بصمة بعد رحيل المستعمر الفرنسيّ، الذّي مكث في الجزائر ما يقارب 132 سنة«وذلك أنّ طول الاحتكاك بين الشعوب المتحاربة ينقل إلى لغة كل شعب منها أثارا من لغات الشعوب الأخرى، سواء في ذلك لغات الخلفاء ولغات الأعداء»[1]. فيحدث أن تكون الحرب بين شعبين ووعيين مختلفين في اللّغة والإيديولوجية سببا في الصراع بينهما ولكن فرنسا كانت سلطتها أقوى آنذاك فاستطاعت بذلك أن تفرض على المجتمع الجزائري اللّغة الفرنسية وتحاصر اللّغة العربيّة وتهدّم مراكز تعليمها، حتى أصبحت اللّغة الفرنسية اللّغة الرسمية الثانية التّي يتكلم بها أفراد المجتمع الجزائري، «فأحيانا تنتصر إحدى اللّغتين على الأخرى وتحتل مناطقها، فتصبح لغة مشتركة بين الشعبين وأحيانا لا تقوى واحدة

[1]– علي عبد الواحد الوافي، اللّغة والمجتمع، ط4، شركة مكتبات للنشر والتوزيع، الرياض، 1983، ص101.

منهما على الأخرى فتعيشان معا جنبا لجنب»[1]. وقد أدت هذه الرّواسب مجتمعة في الجزائر المستقلة إلى خلق وضع لغويّ مغاير ما جعل أدباءها و كتابها هم الآخرين يتأثرون باللّغة الفرنسية ويعتمدونها في صياغة الأعمال الأدبية.

يجد الرّاوي نفسه في رواية التّوابيت بين فراغ لغوي بارز، حيث تتصادم لغتين ولسانيين، وعيين مختلفين «فتتواجه لغتين واضحتي الاختلاف: لغة هي المهيمنة سياسيا – في الاستعمال الرسمي والاستعمال الشعبي– ولغة أخرى مهيمن عليها»[2].إذ أصبحت الفرنسية لغة ذا شان ومقام، فهي التّي تحكم زمام الأمور في مختلف المجالات، فهي لغة لا يستهان بها في دواعي الاستخدام الرسمي، فهي أشبه بالرّسام الذّي يحرك ريشته في الاتّجاه الذّي يريده، «حيث فرض المستعمرون لغتهم و ثقافتهم على المستعمَرين، وقاموا في الوقت ذاته بتهميش اللّغة والثقافة المحلية»[3]. نلمس من هنا سيطرة اللّغة الفرنسية على اللّغة الفصحى بشكل كامل، حيث حرمت المستعمر ليس فقط من لغته، بل من معتقداته وعاداته وثقافته، فارضة نظاما جديدا يتّم إتباعه بعيدا عن اللّغة الأم.

ترتبط إذا نشأة اللّغة الفرنسية إلى جانب اللّغة الفصحى، بذلك الصّراع الحاد الذّي نتج عن الغزو المطوّل، وعلى غرار هذا تتكوّن اللّهجات «نتيجة غزو أو هجرات إلى بيئات معمورة، فقد يغزو شعب من الشعوب أرضا يتكلم أهلها لغة أخرى، فيقوم صراع عنيف بين اللّغتين الغازية والمغزوّة، وتكون النتيجة عادة إمّا القضاء على إحدى اللّغتين قضاء يكاد يكون تاما، أو أن ينشأ من هذا الصراع لغة مشتّقة من كلتا اللّغتين الغازية والمغزوّة، يشتمل على عناصر من هذه وأخرى من تلك»[4]. وهذا تحديدا ما تلمسناه في تلك الألفاظ الفرنسية الموجودة في بعض صفحات هذه الرّواية، التي تمّ تحويلها إلى كلمات معرّبة تشبه إلى حد

---

[1]– علي عبد الواحد الوافي، اللّغة والمجتمع، م س، ص93.

[2]– محمد محمد داود، اللّغة كيف تحيا؟ ...ومتى تموت؟، ط1، دار نهضة، القاهرة، 2016، ص30.

[3]– م ن، ص130.

[4]– إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ط8، مكتبة الانجلو المصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1996، ص23.

كبير اللّغة الفصحى في صياغتها، ممّا يخلق تنافسا بين اللهجات، ورغبة اللهجة الثانية/الفرنسية في الارتقاء إلى مرتبة اللّغة العربيّة الفصحى.

وردت في الرّواية،بالإضافة إلى الأمثلة الواردة في الجدول، عبارات قليلة أدخلت فيها اللّغة الفرنسية ضمن اللّغة العربيّة الفصحى،فيستوقفنا المثال التالي:

- ne couper pas svp..y'a quelqu'un qui veut vous parler.»
- Patientez un moment svp.
- D'accord.
- ألو هنا جريدة الشعب»[1].(

رغم قصر هذه المحادثة، إلا أنّها تدّل على حرص الرّوائي على استحضار مشهد يتكرر بين الجزائريّين أثناء محادثاتهم اليوميّة، حيث تمتزج اللّغة العربيّة مع اللّغة الفرنسية لتنشأ بذلك هجونة لغوية تطبع الحديث اليومي بتركيب حواري هجين، وتشكّل بذلك أسس المنظومة اللّغوية الجزائرية، وذلك ما يتجلّى على مستوى الواقع.

نصادف في موضع آخر المقطع الآتي:

« - قديما قالوا: Et Dieu créa Eve

- والآن يقولون:»Et l'homme créa Eve» [(2)].

نجد هاهنا تلاعبا بكلمات اللّغة الفرنسية، حيث يرتبط وضع المرأة بالإنسان ففي أيامنا خلاف ما كان عليه الحال فيما مضى، فأصبحت المرأة حبيسة المجتمعات الذكورية وفقدت مناعتها الطّبيعيّة، وقد تكفلت اللّغة الفرنسية في المقطع السابق بإظهار تلك المفارقة.

عمد الكاتب إلى نقل بعض العبارات من اللّغة العربية الفصحى إلى اللّغة الفرنسية وهو ما سنعرضه في هذا الجدول:

---

[1]- عز الدين ميهوبي، التوابيت، م س، ص25.

[2]- م ن، ص263.

العبارة بالفرنسيّة	انتقالها للّغة الفصحى	الصفحة
- Demain commence un autre monde. Fait, autant(…) les vertus de la douceur.	– غدا يبدأ عالم جديد، يكون كمثل(…) وفضائل اللّطافة.	27
- N'est pas forte la main qui frappe, mais l'est qui est propre.	– اليد التي تضرب ليست القويّة، إنّما اليد النّظيفة.	34

قام الرّوائيّ في هذه المقاطع بعملية انتقالية بين العربيّة الفصحى واللّغة الفرنسيّة وغالبا ما تحدث مثل هذه العملية عندما نتلمس «عدم قدرة الشخص على التّعبير بصورة كاملة في لغة واحدة، فيتحول إلى اللّغة الأخرى ليداري هذا العجز» [1].واعتمادا على هذه التقنية اللّغوية يمكن لنا أن ننتقل من لغة إلى أخرى، ذلك تعزيزا للمعنى وتقريبه إلى المخاطب، وتوطيدا لمفهوم التّجدد والانبعاث الذّي عبّرت عنه اللّغتان تعبيرا عميقا وجلّيا.

إضافة إلى اللّغات الثلاث (العربية الفصحى، العامية، الفرنسيّة) المعتمد عليها وبسخاء في الرّواية، لم يستطع الكاتب الامتناع عن توظيف لغة رابعة، ولو بجملة وحيدة تجسدت في اللّغة الانجليزية، تمثلت في قول الرّاوي:

«worldtrade center»[2]، حيث وظّف هذه العبارة باللّغة الإنجليزية لإظهار وقع التفجيرات التي أصابت الولايات المتّحدة الأمريكيّة في منشآتها الاقتصادية والتّجاريّة، فجاءت الإنجليزية لتقوية دلالة التّفجير، وتعزيز الأثر النفسي المترتّب عنه.

اكتفى الرّوائي بإيراد هذه الثّنائيات اللّغوية الممزوجة بين اللّغة العربية الفصحى واللّغة الأجنبيّة، الأمر الذي خلّف بصمة جلّية في النّص، سواء كان ذلك بدافع الدمج بين كلتا

[1]– علي القاسمي، التّداخل اللّغوي والتّحول اللّغوي، مكتب تنسيق التعريب، الرباط، ص85.

[2]– عز الدين ميهوبي، التوابيت، مرجع سابق، ص25.

اللّغتين، أو عبر نقل الألفاظ من لغة إلى أخرى، وفي كلتا الحالتين حقّق الكاتب لنصّه هجونة لغوية فعليّة.

رابعا: تجلّي اللّغة العاميّة في التّراث الشّعبيّ من خلال الرّواية:

وظّف الرّوائي أشكالا لغوية عديدة من التّراث الشعبي الجزائري، ومن أبرزها نجد الأغنية الشعبية التّي خلفها الأجداد جيلا عن جيل، بحيث مازال صداها إلى حدّ الساعة.

فحملت رواية ميهوبي بعضا من هذه المقاطع التي تتضمّن الأغاني الشّعبيّة، وقد تجلّى ذلك في عدّة مقطوعات، نذكر منها:« أغنية الفنانة الشعبيّة يمينة عينيك يا غينيك...عينك حب رصاص... »[1]. فتستحضر شخصيات الرّواية هذا النّوع من الأغاني القديمة نسبيّا وهي أغنية التّسعينات، ومن تلك الشّخصيات نجد أصحاب النّفوذ والسلطة الذين كانوا يتلذّذون برؤية النّاس ينهارون أمامهم واحدا تلو الآخر، وهم في غاية الاستمتاع بهذه الأغنية والموقف الصّعب الذي يعيشه النّاس أمامهم.

يظهر كذلك لقاء الراوي مع الفنّان الشّعبي محمد الباجي « صاحب رائعة بحر الطّوفان؟»[2]، وهي الأغنية الشّعبيّة الشهيرة، التّي كان لها صدى كبير في الأوساط الشّعبيّة لدى مختلف الفئات العمرية.

وتضمّنت الرّواية أيضا أغنية شعبيّة نبعت من مغن أعمى في كوخ قديم نورد منها المقطع الآتي:

« الدم جرح فم

الفم ورقة توت

التوت مثل الحوت

---

[1]– عز الدّين ميهوبي، التوابيت، م س، ص08.

[2]– م ن، ص63.

الحوت ولد الماء

الماء ولد الغيم

الغيم ولد الريح

الريح من الشيح

الشيح نبة النار

النار أخت الماء

يا نار كوني ماء»[1].

يتبيّن لنا في هذه المقاطع بروز ثنائيات عديدة تنتمي إلى حقل الطّبيعة بما فيها من عناصر متنوّعة، وعلى هذا الأساس صاغ مغنّيها نصّه الشعبي بلغة عامية قريبة أشّد القرب من اللّغة العربيّة الفصحى في ألفاظها، ذلك أنّ «الألفاظ العامية من جزئيات التّراث الشّعبي»[2]. كذلك نجد هذا النّوع من التّعابير الشّعبيّة: «انطلقت بنا السّيارة باتجاه الجزائر العاصمة تحت إيقاع عويشة والحراز، بصوت المطرب الشّعبي الهاشمي قروابي» [3]. وهذا الاسم الأخير يرتبط بمغن ذاع صوته في الجزائر، وشكّل مرجعية قويّة في الوسط الفنّي الشّعبي الجزائري.

نصادف المقطع الآتي: « إيقاعات أغنية المرحوم الحاج محمد العنقا سبحان الله يا لطيف »[4] . وهي إحالة إلى أغنية تركت الصدى نفسه الذّي تركته أغنية قروابي، فقد كان يطلق عل ى صاحبها اسم العملاق العنقا.

---

[1]– عز الدّين ميهوبي، التوابيت، م س، ص 110.

[2]– محمد خالد رمضان، أهمية اللفظية العامية في التّراث الشّعبي، الشّفاهي ومعنى جمعها ودراستها، منتدى حزب الإرادة الشّعبيّة، نقل السّاعة: 19:41، يوم: 2 أوت 2019،
www.kassioun.org/more-catagories/art-and-culture/item/3396-7378.

[3]– عز الدّين ميهوبي، التوابيت، م س، ص113.

[4]– م ن، ص77.

محصّلة للقول، إنّ التّراث الشّعبي لايخلو في طيّاته من اللّغة العامية، حيث «صنّف علماء اللهجة العامية ضمن ميدان الأدب الشّعبي، وهي تعتبر أحد أهم أقسامه (...)، ومن جهة أخرى يؤكّد علماء الفولكلور أنّ اللّغة الشعبيّة العامية هي أحد المجالات التّي تبرهن لنا على ثراء العقلية الشّعبيّة، وتدّل على القدرات الإبداعية للخيال الشّعبي وعلى استطاعته أن يبلغ مستويات لا تملكها أدوات التّعبير الفصيح في بعض الأحيان»[1]. فالتّراث الشّعبي يستعمل اللّغة الدارجة لأنّها تعتبر الأقرب إلى الفرد في حديثه وتواصله مع الآخرين. وبهذا فإنّ للتّراث الشّعبي حضورا ق وّياً لدى ميهوبي، فقد وظّفه الرّوائي في روايته ليخلق تفاعلا بين فنون الأدب والموسيقى والغناء، ما يزيد نصّه الروائي جمالية وفنّية وعمقا.

خامسا: حضور اللّغة الأمازيغية في الرّواية:

تجدر الإشارة إلى أنّ اللّغة الأمازيغيّة أصبحت في الآونة الأخيرة لغة رسميّة في الواقع اللّغوي الجزائري، فهي لغة أصلية متجذّرة في التّاريخالمغاربي عامة، قبل شيوع اللّغة العربيّة الفصحى، فإذا كانت اللّغة الأمازيغيّة تعرف حالة «إقصاء في الماضي وخلال الاستعمار فإنّ المرحلة الحاليّة تستدعي إعادة الاعتبار فلابدّ أن تكون للمازيغية بعدا كبيرا كلغة التّراث ولغة الأجداد ولغة لها حمولة ثقافيّة»[2]. فالأمازيغيّة فيما سبق كانت لغة تتمتّع بمكانتها الرّاقيّة، ولكن بعد سيطرة المستعمر الفرنسي على الجزائر سعى للحدّ من وجود هذه اللّغة ضمن لغات الجزائر آنذاك، محاولا بذلك غرس لغته (الفرنسية) في ألسن الجزائريّين ولدى

[1]– ناسمي محمد، تجارب توثيق اللّهجات العامية بالعربيّة، مجلة الموروث الشعبي الإلكترونية، ع18، نقل الساعة: 19:50، يوم: 2 أوت 2019،
httpM//bahrainanyhronpology.blogspot.com/2016/11/blog-post_83.HTml .

[2]– صالح يلعيد، النّخبة الوطنيّة والمشاريع، طبعة مزيدة، دار الأمل، مخبر الممارسات اللّغويّة في الجزائر، جامعة مولود معمري، تيزي وزو– الجزائر، ص70.

أبناء الشعب، أمّا الوضع الآن فقد تغيّر، إذ صارت لغة رسميّة معترف بها في مختلف أقطار الوطن.

ومن جهة أخرى، يرى **صالح بلعيد** بأنّه «يشرفنا أن نأخذ بيد المازيغية لنجلّسها بجانب شقيقتها العربيّة، التّي أخذت منها حوالي ثمانين بالمائة (80%)،من مفرداتها حسب رأي الخبراء..!!»[1]. ومن هذا المنظور نجد أنّ اللّغة الأمازيغية استقت معظم ألفاظها من اللّغة المحليّة الرسميّة.

تتمظهر اللّغة الأمازيغية، في الخطاب الأدبي الذّي قدّمه لنا ميهوبي، في مواضع ليست بكثيرة، فنقدّم العيّنة التّي وقع عليها الاختيار والتّي وظّفها الكاتب في روايته، من خلال هذا الجدول:

اللّفظة باللّغة الأمازيغية	الصفحة
– ثاجماعث	233
– ثهدرذثاقبايلث	239
– يوساد قليس إيس قيميث.	242

تضاربت هذه الألفاظ الأمازيغيّة، تارة مع اللّغة العربيّة الفصحى، وتارة أخرى نجدها جنبا إلى جنب مع اللّغة العاميّة، فاللّفظة الأولى، يقصد بها جماعة العروش، أمّا العبارة الثّانيّة، فجاءت في سياق مساءلة الرّاوي عن مدى إجادة اللّغة الأمازيغية، لكنّه أجاب بالنفي، وأنّه لا يعرف منها سوى ما اشتهر من الألفاظ لا غير، أمّا العبارة الأخيرة فهو بمثابة حكمة يقصد بها قدم من هو أقلّ شأنا وقلة سيادته على صاحب الشأن الأكبر.

[1]– محمد شفيق، ثلاث وثلاثين قرنا من تاريخ الأمازيغيين، ط1، دار تاوالت للنّشر والتّوزيع، الرباط، 1989، ص61.

يتبيّن من خلال ما تّم تقديمه من أفكار متعدّدة مرتبطةبظاهرة الأشكال الهجينة اللّغوية، التّي تتبّعنا توظيفها في رواية "التّوابيت"، أنّ «النّاس إذا في مواجهة اللّغات، أينما كانوا، وآي ما كانت اللّغة الأولى التّي سمعوها أو تعلّموها، فإنّهم يتلاقون لغات أخرى في كلّ يوم فيفهمونها أو لا يفهمون، ويتعرفون عليها أو لا يتعرّفون، ويحبّونها أو لا يحبّون وتحكمهم أو يحكمونها، فالعالم متعدّد اللّغات، تلك حقيقة واقعة»[1]. فمهما كانت اللّغة الأولى التّي يمتلكها الفرد والمجتمع، إلاّ أنّهم لا ينفكون عن اكتساب لغات متنوعة ومتعدّدة يوميا، سواء لاقت إعجابهم أم قوبلت بالرّفض، فمحتوم عليهم تقبل اللّغات الأخرى في معترك حياتهم اليوميّة والاعتراف بها، فلا استغناء عنها ولا سبيل للعيش في جزيرة معزولة.

تعدّدت الأنواع اللّغوية التّي يختص بها التّركيب الهجين في رواية عزّ الدّين ميهوبي، فكانت الانطلاقة من ظاهرة التّفرد اللّغوي التّي تحكمت بالرّواية في مجملها، فلا مناص من القول إنّ اللّغة العربيّة الفصحى «تكتسي بطابع مميّز في نظر المجتمع الجزائري، فهي ليست كما يعتقد بعض اللّسانيين وسيلة للحفاظ على الشّخصية وضمانا لترابطها وتماسكا فحسب، بل هي أساس كل نهضة وتطور مستقبلي [...] لقد كانت أداة تحصين و حفاظ على هوية وشخصية المجتمع الجّزائري »[2]. فالفصحى تعدّ سبيلا للتّقدم والتّطور والنّهوض بمستقبل اللّغات في الكتابة الأدبيّة، فغالبا ما تسعى إلى المحافظة على جذورها العريقة كي تظل لغة رسمية وثورة لغوية يكتسب منها المجتمع الجّزائري ثقافته وتماسكه وحضوره بين اللّغات الأخرى.

فضلا عن ذلك، ظهر شكل لساني آخر، تمثل في الازدواجية اللغوية،«فمن المقرّر في نواميس اللّغات أنّه متى انتشرت اللّغة في مناطق واسعة من الأرض وتكلم بها طوائف مختلفة من النّاس استحال عليها الاحتفاظ بوحدتها، الأولى أمدا طويلا، بل لا تلبث أنّ

[1]– لوس جان كالفي، حرب اللّغات والسّياسات اللّغويّة، م س، ص77.

[2]– بسام بركة وآخرون، اللّغة والهويّة في الوطن العربي: إشكاليات التعليم والترجمة والمصطلح، ط1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السّياسات،بيروت، يناير، 2013، ص57.

تشعّب إلى لهجات»[1]، بحيث لا تستطيع اللّغة العربيّة الفصحى أنّ تسلم من التّفرّغ والانقسام إلى عدّة لغات مختلفة، فكلّ جماعة ولهجتها الخاصّة بها، ما مكّن للّغة العاميّة أن تستمد كل ألفاظها من الفصحى، وتصبح لغة تستحق مكانتها بين اللّغات المتطوّرة و تسعى إلى النّمو والارتقاء على ضفاف اللّغة العربيّة الفصحى.

إلى جانب هذه الازدواجية اللّغويّة نجد شكلا لغويا آخر، يكمن في الثّنائية اللّغوية والتّي ظهرت هي الأخرى، على غرار مخلفات الاستعمار الفرنسيّ بعد الحرب الذّي خاضها مع الشّعب الجزائريّ، فسيطر بذلك على اللّغة الأم في الجزائر و جعلها محدودة، كي يبتكر لغته الأجنبيّة في الجزائر ويقرن ثقافتها وأصولها بإرث الماضي الاحتلالي، لكن الأدباء عدّوا تلك اللّغة غنيمة حرب، واتّخذوها وسيلة لصياغة رؤاهم حول الحياة.

كما نلمس بروز اللّغة الأمازيغية ضمن أحضان هذه الرّواية، وقد وظّفها الكاتب رغم عدم إتقانه لها، وهي الهويّة والثّقافة الجوهريّة التّي تختبئ في أعماق هذا الشّعب الجزائريّ وهذا ما يثبت أنّنا أمّة تجعل من الهجونة اللّغوية، مصدرا للقوّة والوحدة التّي تجمعنا، فنصبح بذلك مجتمعا متفتحا على عدّة ثقافات، ومبنيّا على إيديولوجيات مختلفة ووجهات نظر متعدّدة.

[1]– محمد رياض كريم، المقتضب في لهجات العرب، ط1، جامعة الإمام محمد بن باديس بن سعود الإسلاميّة، الرياض– السعودية، 1996، ص62.

الفصل الثّاني: أسّس التّهجين اللّغويّ وأبعاده الجماليّة في رواية التّوابيت.

المبحث الأوّل: مقوّمات التّهجين اللّغويّ.

أولا: التّعايش اللّغويّ بين اللّغة العربيّة الفصحى واللّغة العاميّة.

ثانيا: التّعايش اللّغويّ بين اللّغة العربيّة الفصحى واللّغة الفرنسيّة.

ثالثا: التّعايش اللّغويّ بين اللّغة العربيّة الفصحى واللّغة الأمازيغيّة

أوّلا: ظاهرة التّعايش اللّغويّ بين اللّغات في الرّواية:

تعدّ مسألة التّعايش اللّغويّ سمة تطبع المجتّمع الإنساني منذ الأزل، فهي تسمح لأفراد مجتمع ما بالعيش تحت لواء التّعدّد اللّغويّ، ممّا يقوم بوظيفة لغوية من أجل التّرابط اللّغويّ في البّلد الواحد، وفي مختلف المجالات، فعلى كل فرد أن يتقبّل فكرة أن يكون مفروضا عليه استخدام أكثر من لغة واحدة في المحيط الذّي هو جزء منه، ما يدفعه إلى التّواصل والتّخاطب يوميّا، فهو يحتاج إلى لغة بجانب لغته الأم كي تتمّ عملية الأخذ والعطاء مع الطّرف الأخر بشكل أسهل وأوضح.

ثانيا: في مفهوم التّعايش اللّغويّ:

من المعلوم أن مصطلح التّعايش اللّغويّ كان وليد الاحتكاك النّاتج بين مختلف الشّعوب والقبائل، بحيث ينطوي على عدّة وحدات تتمثّل في «الامتزاج والتّلاحم والاختلاط ومعنى هذا أنّ كلّ من يتعايش مع غيره عليه أن يقبل التّلاحم و الامتزاج والاختلاط»[1]. فالتّعايش اللّغويّ يُلزم ضرورة الخلط بين لغتين متعايشتين في نفس المجتمع نفسه، فيستعملها المجتمع بالدّرجة نفسها، فاللّغة التّي يستخدمها للتّواصل عليها أن تكون ممتزجة ومتلاحمة فيما بينها كي يتحقق التّعايش بين اللّغتين.

يمثّل كذلك هذا المصطلح «العيش المتّبادل بين لغتين فأكثر في توافق ووئام داخل المجتّمع على الرّغم من الاختلافات التّي توجد بينهم»[2]. فاللّغة التّي يستغيث بها المجتّمع

---

[1] – المجلس الأعلى للّغة العربيّة، الأمن الثّقافي واللّغويّ والانسجام الجمعيّ، دار الخلدونيّة للطّباعة والنّشر والتوزيع الجزائر، 2018، ص405.

[2] – عصام عبد الله علي، الصراع والتعايش اللغوي في نيجيريا، مجلة اللسان الدولية، ع3، معهد الشيخ إبراهيم الطيب للغة العربية، كانو، نيجيريا، يوليو، 2017، ص351.

للتّبادل اللّسانيّ مع الآخرين، عليها أن تكون متداخلة ومنسجمة ومتفاوتة ، كي تستطيع أن تحقق اتّحادا لغويّا في مجتمع متعدّد اللّهجات واللّغات.

فالتّعايش اللّغويّ هو إحدى الصّيغ التّي تمثّل «العيش المشترك للّغات، والقبول بالتّنوّع اللّغويّ في المجتّمع الذّي يوجد فيه أكثر من اللّغة»[1]. فقد نجد أحيانا لغتين متعايشتين في المجتّمع نفسه، حيث لا تستطيع إحداهما رفض الأخرى، ولا أن تتغلب الأولى على الثّانية وبهذا يتّم قبول التّعايش بين اللّغات في البيئة الواحدة، المتعدّدة اللّغات.

وما من شك أنّ التّعايش اللّغويّ بين الشّعوب العربيّة يعدّ ضرورة حياتيّة في الواقع الاجتماعيّ، حيث يعدّ هذا الاشتراك اللّغويّ دافعا يعكس حضارة المجتّمع وقيمته التّي يرغب من خلالها في تحقيق الدّعوة إلى التّحضر والتّطور اللّغويّ، ممّا يجعله أداة فعّالة في توحيد المجتّمع لبناء مستقبل لغويّ صاعد وواع.

إنّ خاصّية الحوار من أهمّ الخّواص التّي يعتمدها التّعايش اللّغويّ في فحواه، فهو «لبّ الاتّصال البشريّ ونواته، والطّاقة التّي تولّد فضاء فسيحا للتّواصل الإنسانيّ والمهارة التّي تحقق خاصية الانتقال للأفكار والمشاعر بين أطراف الحوار»[2]. وتعدّ تقنية الحوار الميزة الأدبيّة التّي تضفي من قيمة اللّغة، فهي تحتاج إلى وجود لغتين مختلفتين لتحقيق آلية الجدليّة والتّحاور والنقاش، حيث ينتقل الطّرفان المتحاوران من لغة إلى أخرى قصد إنتاج نصّ سرديّ أدبيّ يقوم على العلاقة التّحاوريّة التّي تربط بين صيغ النصّ السرديّ القائم على مبدأ الحوار.

نتيجة لما تقدّم، يظهر لنا أنّ التّعايش اللّغويّ هو تدفق كلامي حاصل بين لغتين مختلفتين أو أكثر في مجتمع ما، حيث أصبح هذا المصطلح ضرورة ملّحة لضمان التّطور

---

[1] – عصام عبد الله علي، الصّراع والتعايش اللغوي في نيجيريا، م س، ص352.

[2] – بدر بن محمد عيد الحسين، التّعايش من أجل السلام، ط1، مركز الملك عبد العزيز الحوار الوطني، الرياض 2018، ص58.

الثّقافيّ والحضاريّ لأفراد المجتمع، إذ يسعى لجعل اللّغات السائدة مصدرا للتّقدم والتّطور اللّسانيّ والثّقافيّ والحضاريّ، الذّي به يصلح المجتمع، من كافة الجوانب وبهذا ساد «التّعلم للعيش المشترك، والقبول بالتنوّع، كما يضم وجود علاقة إيجابية مع الأخر»[1]. نلاحظ أنّه بسبب التّعايش اللّساني في المجتمع الواحد أصبح هناك تفتح على الاشتراك والتّنوع الكلاميّ، حيث يبدأ الفرد بتقبل التعدّد اللّسانيّ، والرّغبة في جعل العلاقة مع الطّرف الأخر قائمة على تناغم لغويّ فيما بين الأفراد والمجتمعات.

ثالثا: التّعايش اللّغويّ بين العربيّة الفصحى واللّغة العاميّة:

نلتمس تناغما لسانيّا واضحا بين اللّغة العربيّة الفصحى واللّغة الدارجة، في رواية "التّوابيت"، إذ يمكن ملاحظة أنّ الكاتب بين لنا أنّ كلتا اللّغتين تتوافقان بشكل مثير للدّهشة في هذا النّص، ليس فقط من حيث الاستعمال من قبل الكّاتب والشّخصيات في الرّواية، إنّما يتجسدان في كونهما لغتين تمثلان واقع المجتمع الجزائريّ، ذلك باعتبارهما قد تشكلتا تشكّلا مرتبطا بطبيعة كلّ واحد منهما، وصياغتها الأسلوبيّة. ومع ذلك فقد كانت العربيّة الفصحى مهدا لبروز العاميّة، ذلك لأنّ العاميّة تعايشت وتلاحمت مع العربيّة الفصحى لأمد طويل، ممّا جعلها تأخذ من كينونتها اللّسانية لتشكّل نفسها تدريجيّا، وتثبت نفسها هي الأخرى بين اللّهجات العديدّة التّي اكتسبت الفصاحة اللّغوية الأدبيّة. واستنادا على هذا استلزم علينا «تقريب الشقة بين العاميّة والفصحى بكلّ الوسائل التّثقيفيّة والبيداغوجية بحيث تتمكّن الأولى من أن تقترب من الثّانية، فتصبح مرآة عاكسة للمستوى الثّقافيّ الذّي وصلت إليه الشّعوب العربيّة (...)»[2]. فضرورة التّلاحم بين الدارجة ولغة الأدب، يوّلد دورا هاما في التّطور

[1] - بدر بن محمد عيد الحسين، التّعايش من أجل السلام، م س، ص18.

[2] - المجلس الأعلى للّغة العربيّة، اللّغة العربيّة، مجلة فصلية، منشورات المجلس الأعلى للّغة العربيّة، ع2، الجزائر 1999، ص80.

اللّغويّ، فعندما تقترب العاميّة من الفصحى، تصبح أكثر عرضة للنّمو والارتقاء بملفوظاتها، ما يتيح لها أن تطمح في الوصول إلى ما وصلت إليه اللّغات الأخرى من ازدهار ورقي في المجتمعات العربيّة.

إضافة إلى هذا، «يمثّل التّعايش بين اللّهجات الدّارجة واللّغة الفصحى الميزة الأكثر وضوحا وبروزا للحالة اللّغويّة في البلدان العربيّة، ويشكّل المظهر الأوّل المستوى الأدنى (low variety) المستخدم في التّخاطب اليوميّ واللّغة الوحيدة للمتكلّمين الأميّين، في حين يشكل المظهر الثّاني المستوى الأعلى (high variety) المستخدم في الخطابات الرّسميّة والمحاضرات والبّرامج التّلفزيونيّة»[1]. فالاتفاق لغويا بين اللّهجة العاميّة واللّغة الفصحى جوهر يميّز الموطن العربيّ، فالدّارجة هي لغة العامّة وغير المثقّفين، أمّا الفصحى فلغة الحضارة والرقيّ، وحين يحدث انسجام بينهما، يكمّلان بعضهما لتّطوير وتحفيز العمليّة التّواصليّة والتّخاطبيّة بين أفراد المجتمعات العربيّة.

تتجسّد في ثنايا الرّواية، مقاطع لسانيّة عديدّة تلاحمت فيها اللّغة العربيّة الفصحى مع اللّغة الدارجة، بحيث لم يستطع الرّاوي إلاّ أن يوظف كلّ منهما في حديثه، فتارة يستعين باللّغة الفصحى في حديثه، وتارة أخرى باللّغة الشائعة، وإمّا بكلتيهما في الآن ذاته «فالرّواية هي تشخيص اللّغة وتصوير الذات والواقع اعتمادا على التّشكيل اللّغوي »[2]. فمن المحتّم على الأديب أن يربط بين مباني نصّه ومعانيه، من خلال تشكيلة لسانية متلازمة العناصر حتى تخرج النصّ من الظلمات إلى النور، بعد أن كان أسير اللغة الموّحدة.

[1] – محمد جاسم جبارة، اللّغة العربيّة وإيديولوجية الوحدة، مجلّة تبيّن، ع4/14، جامعة الموصل، كلية التربية للعلوم الإنسانية، العراق، 2015، ص145.

[2] – عمر عروي، التشكيل اللّساني في حوارية الرّواية عند الطاهر وطار الشمعة والدهاليز أنموذجا، جامعة تيارت، تيارت– الجزائر، ص06.

يتمظهر تعايش اللّغة العربية مع اللّغة العامية في الرواية بشكل متفاوت، حيث عمد الكاتب إلى إدراج كليهما، معتمدا في ذلك آلية الحوار، وهذا ما سنمثّل له في الجدول التالي:

_ تلازمية اللّغة الفصحى مع العامية.	الصفحة
– لعنة الله عليكم يا مناغين؟ شكون أنت؟ ما عندك ما دخلك..ورايح يجي نهاركم يا(...)؟ إحترم نفسك؟ أنا لم افهم شيئا. كل شيء منطقي ولكن هل يقبل العقل هذا التأويل التوافقي.	12 32
– الجريدة اليوم ملغّمة. علاه واش اكتبتوا فيها؟ ملغمة. يعني في كل صفحة يوجد لغم جاهز للانفجار.	51

يتبيّن من خلال هذه المقاطع السرديّة المفعمة بتقنية الحوار، استخدام الكاتب في الرّواية للّغتين متلاحمتين بشكل منسجم، «فالنصّ هو آلة لغوية ليس من السهل التّحكم فيها وإنّما علينا أن نترك لأجزاء النص وما فيه من علامات متسعا من الحوار والجدل والتّفاعل الدّاخلي الذّي يكشف عن وجود طرق مختلفة للإبداع والتّوصيل والتّعبير»[1]. فالبناء الرّوائيّ ما هو إلاّ منفذ يحتاج إلى دعائم لغوية دلالاته وإيقاعاته في النصّ. لتتردّد على مسامع القارئ. فاللّغتين (الفصحى/الدارجة) تتفاعلان بشكل حواري مدروس ومحكم في الرّواية، إذ نلاحظ من خلال المقاطع التّي سجّلناها في الجدول السابق، أنّ الحوار كان مبنيّا على تساو في الاستعمال بين اللّغتين، فعند تداولهما يتّم ذلك بالقدر نفسه، عبارة بعبارة، وهذا دليل على

[1] – التّواصل في اللّغات والثقافة والأدب، مجلة محكّمة ومفهرسة تصدر عن جامعة باجي المختار، ع31، عنابة، الجزائر 2012، ص69.

تلازمية وتكاملية الاستخدام اللّساني الحاصل في اللّغتين. ولا يقتصر هذا على الرّواية فحسب بل يخصّ الواقع الجزائري المعيش أيضا، بحيث تتعايش الفصحى والعاميّة جنبا إلى جنبا «فليس هناك من مبرّر المفاضلة بين لغة وأخرى (...) لكلّ لغة عبقريتها ومقدرتها على التّعبير عن حياة المجتمع»[1]. فلكلّ لغة أسسها وأبعادها التّي تتميّز بها، فاللّغز الأكبر أن تستطيع لغتين، أو أكثر، النّمو والتّكامل فيما بينهما، من خلال توظيفها بالوجه الأدبيّ نفسه فكلّ لغة تظهر مقوّماتها ليتّم خلق نوع من التّكامل بين اللّغتين المتحاورتين.

ساد في مجتمعنا الجزائريّ خاصة، معتقد تباينت حوله المواقف، أنّ هناك لغة أحسن من أخرى وهذا الاعتقاد الشائع انتشر وبكثرة بين أصحاب العلم والأدب، فمع أنّ للفصحى فحوى دسم ومشبع، إلاّ أنّنا لا ينبغي اعتبارها أحسن من العاميّة، وهذا ما جسّده ميهوبي في روايته، إذ وظّف اللّغتين بنفس الدرجة دون أن يعود إلى مرجعيات إحداهما، ولم يخالف بينهما، وهذا يظهر من ملفوظات الشّخصّيات التّي تنّم عن اقتناع الكاتب بمبدأ الخلط اللّغوي بين الفصحى والعاميّة، الذّي يقربه من المتلقي والقارئ بشكل أكثر.

نجد كذلك في رواية "ميهوبي" اعتمدت انتقالا لغويّا بين الفصحى والعاميّة، وهذا ما يتجلّى بشكل بارز في نصّه، حيث ينتقل الرّاوي من الفصحى إلى العاميّة بشكل متقن ومتسق «فطبيعي أن يصبح الانتقال من العاميّة إلى الفصحى، على مر الزمن، وبعد التمرّن الطويل، أمرا ميسورا لدى الكثيرين منا»[2]. وبالتّالي أضحى الكتّاب والرّوائيّين يعتمدون هذه الظّاهرة كآلية فنية تبنى عليها أعمالهم الإبداعيّة.

تطلّب الأمر من الكاتب، في هذه الرّواية، أن يقيم مقاربة بين اللّغة الأدبيّة الفصيحة ولغة عوام الناس؛ «فالعاميات المتداولة في مجتمعاتنا فيجب أن نهذبها للتّعايش ونقاربها ليست كظاهرة مرضية يجب القضاء عليها ولكن كواقع يمكن ترقيته من خلال تقريب العربية

[1] – أنيس فريحة، نظريات في اللّغة، ط2، دار الكتاب اللّبناني، بيروت، 1981، ص48.

[2] – م ن، ص111.

وتحبيبها للناشئة وللناس مع الإشارة أن الكثير من التراث الإبداعي لمجتمعاتنا مكتوب بهذه اللّهجات»[1]، فالرّواية تستدعي من الكاتب إحداث تداخل بين اللّغة العاميّة والفصحى التّي تقوم بترصينها وإثرائها، وقد صنّف العديد من الأدباء والباحثين والدّارسين، اللّغة العاميّة في خانة اللّغة العربية التّي يصيبها الخللّ ويحطّ من قيمتها الأدبية والعلمية، ولكن العكس أصّح فلو سارت هذه اللّغة جنبا إلى جنب مع الفصحى لأصبحت تضاهيها قيمة وأسلوبا. لهذا يجب تشجيع هذا التّعايش والاختلاط اللّسانيّ الذّي يمنح البناء الأدبيّ وقوة ورصانة، وهذا هو الدّافع الذّي جعل "ميهوبي" يوظّف العامية في نصه، بغية تعزيز أسلوب العاميّة وإحكام قواعدها وإرسائها عن طريق الفصحى التّي تسايرها.

استنادا إلى ما طرح، يمكن القول بأنّ «السعي للتقريب بين اللّغة الفصيحة واللّغة العامية قصد التعايش والتلاحم أمر مشروع شريطة ألا تفقد الأولى من منزلتها ومكانتها كونها ترتبط ارتباطا وثيقا بالمنزلة التي يحتلها مستعملوها»[2]. وبهذا فإنّ التّعامل باللّغة الفصيحة ممزوجة باللّغة العاميّة أصبح فكرة سائدة لدى العديد من الكتاب والأدباء، فهذا يمنح العمل الأدبي في تصوّرهم، رونقا وجماليّة لجذب القارئ وسحره بألفاظها المتعدّدة والمتنوعة الأفق والإيديولوجيات والحضارات المختلفة.

[1] – المجلس الأعلى للّغة العربيّة، الأمن الثّقافي واللّغويّ والانسجام الجمعيّ، م س، ص173ص174.

[2] – المرجع نفسه، ص171.

رابعا: التّعايش اللغوي بين العربية الفصحى واللّغة الفرنسية:

يعدّ التّعايش اللّغويّ الذّي يربط بين الفصحى والفرنسيّة ضرورة فرضها المعطى التّاريخيّ عبر الزّمن، فالاحتكاك النّاتج عن الغزوات، أو الحروب أو الهجرة بين مختلف البلدان، كانت تؤدي في أغلب الأحيان إلى تلاحم واختلاط لغتين، الأولى محليّة والثّانيّة دخلت بفعل الاحتكاك، وبفعل هذا نتج اصطدام واحتكاك لغة فصحى مع لغة أجنبية، لتتولّد لغتان متعايشتان، لا تستطيع إحداهما التّغلب على الأخرى، وذلك يعود إلى حمولة كلّ واحدة منهما، سواء ثقافيّا أو حضاريّا.

غدت اللّغة العربيّة الفصحى نتيجة لهذا التّأثر مع احتكاكها وتأثرها باللّغة الفرنسيّة أكثر غنى ودسامة في قاموسها اللغوي ولهذا «نضجت العربيّة وبدأت عطاءها الحضاري وغزت هذه اللّغات في قعر دارها وأمدتها بما كانت تفتقده من ألفاظ الحضارة الجديدة»[1]. فمن غازية تحوّلت إلى مغزوّة، وتلك بنية الكون، وحكم التّاريخ، إذ دخلت ميدانها ومضمارها اللّغويّ بفعل تأثرها باللّغة الفرنسيّة، وندرج بعضا ممّا ورد منها في رواية "ميهوبي"، نحو(الستيلو، كاميون، الفيستة، البوكي، الفروماج روج، الروشي، الفيستة، الفو باراج، ...)، يعود أصل هذه الكلمات إلى اللّغة الفرنسيّة ولكن تمّ تعريبها إلى اللّغة العربيّة الفصحى كي تتناسب مع أسلوب النّصّ وصّيغه.

كما نلمس في الرّواية ظاهرة لغوية لفتت اهتمام الكاتب بالبحث اللّغويّ، حيث عرض كلمة "أساطير" «جمع أسطورة وإسطارة (...) إنّها من اللاتينية historia، ومنها الانجليزية history (...)»[2]، واشتقاقها وتراكيبها بمختلف الصّيغ اللاتينيّة فمن خلال إدراج هذه الكلمات في نصّه الروائيّ، يمكن أن ندرك مدى اهتمامه بمختلف اللّغات، وليس الأجنبيّة

[1] – ليلى صديق، احتكاك اللّغات وأثره في التّطور اللّغوي، جامعة عبد الحميد باديس، مستغانم–الجزائر، ص101.

[2] – عزّ الدّين ميهوبي، التوابيت: في رواية ما حدث للصّحفي، م س، ص147.

منها فقط، هذا ما يظهر مدى تعلق الكاتب بكلّ مستويات اللّغات، ما يدفعه للبحث في غمارها قصد التّعمق فيها والبحث عن أسرارها المخفية.

يبدو لنا بحسب ما تقدّم، أنّ اللّغة العربيّة واللّغة الفرنسيّة أحسن مثال للتّعايش اللّغويّ، بحيث استفادت وأفادت كل واحدة الأخرى، وبالأخص اللّغة الفصحى، وما حظيت به من ألفاظ دخيلة عليها، إلاّ أنّها استطاعت أن تمنحها صياغة جديدة تثري عملية التواصل.

خامسا: التّعايش اللّغوي بين اللّغة الفصحى والأمازيغية:

أولى الرّوائي اللّغة الأمازيغية اهتماما بالغا، حيث خصّص لها صفحات أفادت بشكل بيّن رغم قلّتها، حيث «تملك المازيغية مواطن القوّة ومؤشرات الحداثة والانفتاح، وهي لغة وطنيّة يكون لها امتداد لدى ناطقيها وساكنتها، وتعمل على التقارب بين لغة المدرسة ولغة البيت، وأنّ تدريسها يكون مبنيا على أسس واقعية تنطلق من نظرة شاملة لمكوّنات المجتمع الجزائري المتعدّد اللّغات والمنصهر مع الثقافات المجاورة في إطار التسامح والتعدّد»[1]. وتعتبر اللّغة الأمازيغيّة مصدرا هاما للهويّة الجزائريّة التّي يعتزّ بها شعبها لعراقتها وأصالتها منذ القدم، فهي متقاربة مع اللّغة المدرّسة في مراكز التّعليم التّي تتمثّل في العربيّة ولغة عوام النّاس وتخاطبهم اليوميّ وهي اللّغة الأمازيغية .

جسّد الكاتب مسألة اللّغة الأمازيغيّة، وممّا يظهر ذلك الحوار الذّي دار بينه وبين مواطن من منطقة القبائل، حول قضيّة اللّغة الأمازيغيّة ونمط كتابتها الأصليّة، فجاء في المقطع الآتي:

«تهدرذ ثاقبايليث

[1] – صالح بلعيد، النخبة الوطنية والمشاريع، طبعة مدبيّة الأزيدة، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، جامعة مولود معمري، تيزي وزو–الجزائر،ص113.

لا..نعرف شوية شاوية..

من المفروض أنت كاتب..لازم تعرف الأمازيغية؟

(...)نكملوا النقاش نهار أخر..»[1].

فيجدر أن يعاد إلى اللّغة الأمازيغيّة الاعتبار الذّي تستحقّه، فيمكن القول «بأن أفضل من يجسّد اللّغة الأمازيغية حروفها نطقا وأداء وهي تلك الحروف التّقليديّة المعروفة (حروف التيفيناغ)»[2]. فلا وجود لصوت يمكن أن يعبّر عن كينونتها وجذورها أبلغ وأسمى من حروفها الأصلية، «فخير ما يجسّد أصوات أية لغة هو حروفها التّي كتبت بها أول مرة»[3]. فالحرف اللاّتيني أو الحرف العربيّ لا يعطي الأمازيغية حقها من الشموخ والسمو وعلى هذا يجب أن ترّد لها حروفها الأصلية التّي تزيد من شعلتها وبريقها.

إنّ اللّغة الأمازيغيّة بالنّظر إلى تاريخها العريق، تعدّ لغة الشّعب الجزائريّ الحقيقيّة ومرآته العاكسة، ولكن مع هذا فإنّه يتعيّن إعادة الاعتبار إلى خطّها وتراثها الكتابيّ وحتى وإن امتزجت في ذلك مع كتابات أخرى دخيلة، نتجت لغة هجينة، وهي بنية كلّ لغات العالم، تكتسب مناعة مع الوقت يصعب زعزعتها والتّقليل من شأنها وسط اللّغات المتداولة الأخرى، سواء كان ذلك رواية ميهوبي أو الإنتاجات الأدبيّة الأخرى.

[1] – عز الدين ميهوبي، م س، ص239–ص242.

[2] – صالح بلعيد، هل تشتعل حرب الحروب، منشورات مخبر الممارسات اللغويّة، الجزائر، 2016، ص49.

[3] – م ن، ص70.

المبحث الثّاني: أبعاد التّهجين الجماليّة.

أولا: ماهية التنوّع اللّغويّ وغايته.

ثانيا: فنيّة التّشكيل اللّغويّ.

1- فنيّة اللّغة العربيّة الفصحى.

2- الاسترفاد العاميّ.

3- اللّغة الشعريّة.

4- لغة الحوار.

تعدّ اللغّة أداة فعّالة في بناء وتأسيس الخّطاب الرّوائيّ، فهي هويّة البناء الإبداعيّ وكيانه، فلا مناص من جعلها سبيلا يعبّر من خلاله الأديب عن أفكاره وأحاسيسه، فلا يمكننا أن نتخيّل عملا أدبيّا ينسج خارج إطار اللّغة؛ لأنّها تحمل في ذاتها متنفّسا يجعل الأديب في عالم يخصّه، فيجد في هذا العالم مجالا يسمح له بالإفصاح عن كلّ ما يختلج في صدره وبذلك تعدّ اللّغة لوحة فنيّة يتشكّل بها النّص السّرديّ، ممّا يتيح له للكاتب التّلاعب بألوانها وتشكيلها في أبهى حلّة ، فهي عمود الجمال في العمل الإبداعيّ، ولا قيمة لأي عمل أدبيّ بدون لغة تتيح له من أن يسبح في بحر المعاني والدّلالات والأساليب والتّراكيب، التّي تمتاز بسحر البيان والقدرة على التّأثير في المخاطب، «فاللّغة حسب جوهرها ليست نظام علامات فحسب، بل إنّها قبل أي شيء وفي الأساس نشاط تواصلي، إذ لا تشترط الكلام بلغة ما وفهمها معرفة بنظام علامات فقط، بل تشترطان على ذلك تمكّنا من استخدام العلامات اللّغوية »[1]. فهدف اللّغة الأساسي في النّص يتمثّل في خلق عملية تواصلية تخاطبية مع الطرف الآخر، فلا تقتصر معرفتها على حدود إشارات أو علامات أو مبادئ معيّنة، بل تستدعي لفهمها قابلية يستطيع الأديب بموجبها استخدام اللّغة استخداما أدبيّا فنيّا وخلاقا.

أولا: ماهية التنوّع اللّغويّ وغايته:

أجمع العلماء والدّارسون والمفكّرون منذ القدم على أنّ اللّغة «وعاء الحضارة الأمة وثقافتها، وهي الأداة الفعّالة لبناء النهضة والحضارة، وهي الواسطة التي تجعل من الأمة مجتمعا متماسكا»[2]. فكلّ فرد من أفراد المجتمع يحتاج إلى ملكة لغوية تجعله يواكب عصره

[1] – زتسيسلاف واورزنيال، مدخل إلى علو النّص: مشكلات في بناء النّص، تر: سعيد حسن بحيري، ط1، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، 2003، ص21.

[2] – محمد محمد داود، اللّغة كيف تحيا؟ ...ومتى تموت؟، ط1، دار نهضة، القاهرة، 2016، ص71.

بكلّ ما يحويه من تقدم وازدهار، وبها تتوحّد المجتمعات تحت شعار اللّغة من أجل أمة واحدة.

يُشكّل البناء اللّغوي في نص أدبي معيّن ضربا من الجماليّات الفنيّة للنّص واللّغة في الآن ذاته، حيث يسعى الكاتب من خلال تجربته الإبداعية «إلى حفظ اللّغة وصيانتها وسلامتها والوقوف على خواصها وتاريخها وآثارها...»[1]. فاللّغة هي الميزة الأساسية والبؤرة التي يرتكز عليها النصّ، حيث ينصب اهتمامه الأديب الكامل حول طريقة نسجها بشكل محكم الصياغة في جمل جيّدة السبك.

ومع كلّ ما تحظى به اللّغة من اهتمامات البّاحثين والدّارسين، أصبح لها أثر مباشر في «حياة لغة الكتابة وحفظها من التحريف وتهذيبها ونهضتها ونقلها من السلف إلى الخلف»[2]. فأصبحت اللّغة القالب الذّي تُصبّ فيه مختلف الكتابات والتأليفات الإبداعية المتنوّعة، بغية صيانتها والتّحفظ عليها من كلّ ما قد يضرّها بهدف جعلها ميراث تتناقله الأجيال.

لا يمكن للّغة الأدبيّة، علاوة على ذلك، أن تظّل بمعزل عن التّغيّرات والتّذبذبات التّي تطرأ عليها، فهي تضاهي «بعض المخلوقات، تهاجر وتتأقلم وتنصهر بلغات أخرى، وتنتشر وتتوزّع وتعيش وتستوطن بمناطق غير موطنها الأصلي الطبيعي»[3]. فتتمتّع اللّغة بقابلية العيش في ظلّ تغيّرات الظّروف والمواقف التّي تجعلها تقبل الجديد يوميا، وتضيفه إلى دلالاتها ومعانيها وأسسها، إذ «تظل اللّغة في توالد وتزايد كلّ يوم، لتؤدي عنا حاجياتنا اليومية التي نريدها منها، ونحملها على التعبير عنها، في تواصلها على مختلف مستويات

[1] – علي عبد الواحد الوافي، اللّغة والمجتمع، ط4، شركة مكتبات للنّشر والتّوزيع، الرياض، 1983، ص45.

[2] – م ن، ص46.

[3] – محمد محمد داود، اللّغة كيف تحيا؟ ...ومتى تموت؟، م س، ص32.

هذا التّواصل»[1]. وتضمّ اللّغة إليها على مرّ الزّمن، ألفاظا جديدة، وهذا راجع إلى تطوّرها المستمر واللامتناهي، بهدف سدّ الحاجات الكلامية واللّفظية التّي يعبّر عنها الفرد والمجتمع أثناء التّواصل بمختلف أشكاله ومجالاته.

إنّ جوهر الرّواية يكمن في تنوّعها الكلامي وتعدّد أصواتها، حيث أنّ تعدّدية الأصوات وتنوعها تشمل تشكيلا لغويا فنيا لسانيا متنوعا، يدخل الرّوائيّ فضاء فنيّا رحبا، فلا مهرب من القول بأنّ استخدام فنيّة اللّغة في الجنس الرّوائيّ معتمد في أساسه على التّشكيل اللّغويّ المتعدّد، فالشكل الفنيّ للّغة في الرّواية أصبح أكثر امتزاجا بلغات أخرى تتداخل في جنس الرّواية، «ولهذا فالرّواية لا تقول هذا الشيء المقصود بواسطة لغة واحدة ولكن بواسطة صورة تشكيليّة لعدد هائل من اللّغات ضمن نسق بنائيّ متكامل»[2]. فتبرأت الرّواية بذلك في البحث عن كنهها ومقصدها، عن أحادية اللّغة والتّفرّد اللّسانيّ، وغدت تعتمد جملة من الأصوات الفنيّة الكلاميّة، حتى تجسّد في النّصّ سياقا محكما ذا صياغة متقنة ومنسّقة.

تشخيصا لما سبق، نجد أنّ اللّغة مرآة عاكسة لصورة النّصّ وجماليّته وتنوّعه، «وهي الحال التّي تكتسب فيها هذه اللّغة طاقات إيحائيّة تغري المتلقي بالرّحيل إلى داخل دفقها الدلاليّ المتنوع»[3]. فاللّغة تمنح كيان النّصّ هويته وكينونته التّي لا يمتاز بها جنس أدبيّ آخر، فهي تضفي عليه شحنات دلالية ذات دلالة رمزيّة، مفعمة بالعلامات والإشارات اللّغويّة التّي تخطف ميولات المتلقي، ليغرق في بحرها الغنيّ بثرواته المتعدّدة، فاللّغة بعيدا عن هذا التّطور اللّغويّ والتّنوّع اللّسانيّ تبقى متجمدّة، ولا تكتسي ألفاظها أيه حلة جديدة تجعل شعلتها دائما ساطعة ومشعة.

---

[1] – عبد الملك مرتاض، في نظرية الرّواية، بحث في تقنيات السرد، ط1، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ديسمبر 1998، ص96.

[2] – حميد الحميداني، أسلوبية الرّواية، مدخل نظري، ط1، منشورات دراسات: سال، مكتبة الأدب المغربي، فاس– المغرب1989، ص84.

[3] – المجلس الأعلى للّغة العربيّة، الرّواية بين ضفتي المتوسّط، منشورات المجلس، الجزائر، ماي 2018، ص41.

تحفل الكتابة الأدبيّة الجديدة بميزة التّعدد اللّغويّ، ما يكسبها منحى جماليّ من خلال تفاعل بنيتها وتشكيلها داخل فضاء متعدّد، فلم يعد النّصّ حبيس اللّغة الفرديّة، بل تفتح على عدّة محطات لغويّة أثّرت مفرداته وأعطت له كينونة متميّزة، فالقاموس اللّغوي الذّي يسخّره الرّوائيّ في تأليفه وكتاباته يكون نتاجا لخاصية أسلوبية يمتلك فيها التّمكن الجيّد، ويكون ذلك دليلا على سر إبداعه وقوة صنعته اللّغويّة، وعلى هذا الأساس تتشكّل الرّواية على حقل دلالي متنوّع ومتّعدّد تشكلا جليّا، ممّا يضفى على العمل الأدبي جمالية وخاصية فنية بارزة.

استقبل النّص الرّوائيّ عدّة تقنيّات لغويّة متباينة، إذ تكوّنت فيه مستويات لسانيّة متنوّعة في الأصوات وتعدّدها، حيث تمكّن الرّوائي من التّنقل بكلّ راحة داخل الملفوظ اللّغويّ المتنوع عبر أساليب لغويّة مختلفة، وأنظمة لسانيّة متغايرة في الوعي والإيديولوجيات تختلف فيها وجهات النّظر، وهذا النّظام المتّعدّد اللّغة يمنح القارئ شرارة ساخنة في طريقة التواصل بين المتّخاطبين، وكيفية نقل المعاني والدلالات، وكذا سبل التّأثر بين المخاطَب والمخاطِب، فاللّغة هي الحجر الأساس للتجربة الأدبيّة الاجتماعية، «فالتّشكيل اللّغوي يمثّل ركيزة رئيسية في كشف اللّثام عن النّص، وهي الأداة الرئيسية في الدّراسة الأسلوبيّة»[1]. وبذلك يؤدي التّنويع الألسني إلى فكّ الإبهام والحواجز والعقبات التّي تواجه النّص وإعطائها سمة السهولة والشّفافيّة الممتعة.

تشغل ظاهرة التّشكيل اللّغوي المتنوّع في الإبداع الأدبي مكانة هامة، إذ تعتبر من أهم الجماليات السّرديّة الروائيّة، ذلك أنّ الرّواية لا تكتسب قيمتها، ومكانتها وتميّزها عن باقي الأجناس الفنيّة الأخرى إلاّ في إطار البعد الفنّي للغة المتنوّعة، إذ «يمكن لصورة لغة أن تبني فقط من وجهة نظر لغة أخرى مقبولة على أنّها بمثابة معيار»[2]. فتقوم بنية اللّغة

[1] – زيد خليل القرالة، التّشكيل اللّغويّ وأثره في بناء النّص: دراسة تطبيقيّة، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدّراسات الإنسانيّة)، مج: 17ن، ع1، كلّية الآداب والعلوم الإنسانيّة، جامعة آل البيت، الاردن، يناير 2009، ص213.

[2] – حميد الحميداني، أسلوبية الرواية، م س، ص86.

المتنوّعة في السرد الرّوائي على أساس تحديد هجنة لغوية داخل الرّواية، وترتبط بالطابع المتنوّع للّغات، فقد اعتمد ميهوبي في اللّغة النّثريّة الخاصّة بروايته على تشكيلة لغوية متعدّدة الأفق والخلفيات، أي إنّ «التّنوع الكلاميّ بالذات وليس وحدة اللّغة العامّة المعيارية هو قاعدة الأسلوب»[1]. لم يعد النّص في قيمته الجمالية والفنية لم تعد تستحوذ عليه اللّغة الواحدة ذات الطابع المحدود، بل تعدّى الأمر ذلك إلى جعل الألسن المختلفة آلية متطوّرة في حدّ ذاتها تسمح ببناء نسق نصّي عموده حسن السبك، وإتقان توظيف الأساليب اللّغويّة الجماليّة في الرّواية، التّي تضفي على العمل الأدبيّ جماليّة ورونقا خاصّين به.

لم يعد اللّسان الواحد يشبع غرائزه الألسنية، ورغبات الفرد الجيّاشة في التّلذّذ بولوج عالم الرّواية، بل أصبح يسعى إلى البحث والتّطلع إلى الجديد كلّ يوم، وخاصة في مجال النظام الأدبي، لأنّه يعتبر مصدر طاقته الخلاقة، والتي تأخذه إلى عالم متعدّد الخبايا فيخلق بذلك مجموعة من التّفاعلات التي تربط بين الفرد والنّص الإبداعيّ، مكوّنا بذلك عملية تأثير متبادلة بين كلا الطّرفين.

ثانيا– فنيّة التّشكيل اللّغويّ:

اعتمد ميهوبي في رواية التّوابيت، نسيجا لغويا متعدّد الأشكال والأنواع، وظّف ضمن سياقات ومحطات لغوية، جمعها الكاتب في نسق فائق الإحكام والصّياغة اللّغويّة ومن بين هذا ما يطبع الرّواية ويميّزها، ويبيّن لنا الإمكانيات التّعبيرية واللّسانية للّغة التّي أسهمت في بناء المادّة الأدبيّة وبلورتها.

أطنبنا، بشكل كاف، في الحديث عن ظاهرة تعدّد الأنظمة اللّغويّة، ومكانتها في الإبداع اللّغويّ، فهي تقنية جديدة اكتسحت نظام الرّواية المعاصرة بشكل يبرهن أنّ نظام اللّغة في النّص السّرديّ، لم يعد بتلك القيمة والميزة التّي كان متعارفا عليها من قبل، فقد تبيّن

[1] – ميخائيل باختين، الكلمة في الرّواية، م س، ص75.

للكاتب أنّه كلّما كانت صورة اللّغة متعدّدة ومتشابكة في النّص، كلّما كان النّص قابلا للتّأثير والتّأثّر، فهذا ما يسمح أن يأخذ بالعمل الرّوائيّ إلى أرقى المراتب وأسمى الأجناس الأدبيّة، لقاء استثماره للوظائف الفنيّة والجماليّة التّي تتآلف مشكّلة متن الرّواية وبنائها الأدبيّ، وتتمظهر طائفة من هذه التّشكيلة اللّغوية في النّص على النحو الموالي:

1- فنية اللّغة العربيّة الفصحى:

إنّ العربيّة الفصحى من الركائز الأساسيّة والدعائم المحورية في تنسيق الخطاب الأدبي العربيّ، فقد اعتمد عليها جلّ الأدباء والكتّاب في بناء نظام كتاباتهم الأدبيّة منذ سنين طويلة، ومنها تعدّدت اللّغات وتشكّلت بشتى الأنواع والأصنآف في العمل الأدبي الواحد تبقى العربيّة الفصحى اللّغة التّي يحتدى بها في كافة الخطابات والكتابات والأعمال، النثريّة منها والشعريّة، ذلك لعراقتها وأصالتها. فهي ببساطة ثورة لغويّة اكتسبت على مدار أعوام وقرون ماضية من الكدّ والعناء والجهود الجبّارة للأوّلين في سبيل إرساء أسسها وغرس جذورها التّي ستظّل إرثا تتناقله الأجيال، وتنمّيه بإبداعات لن تتوقف مادامت الحياة مستمرّة والفكر شغّالا.

شغلت اللّغة العربيّة الفصحى حيّزا واسعا من رواية التّوابيت، حيث لم يستغني الأدبيّ عن تراكيبها وأساليبها المرنة والعذبة، ولم يبتعد عن ميزاتها وعناصرها ومبادئها وقواعدها، فكانت هي الحجر الأساس الذّي انطلقت منه فعّاليّة كتابة هذا العمل الأدبيّ الفنيّ.

وبهذا نصل إلى القول بأنّ «المهم في العمل الأدبيّ ليس الألفاظ بذاتها، بل الرّوابط التّي تقام بينها»[1]. فلا تنبني اللّغة الفصحى على ألفاظ وكلمات عابرة تكتب بمحض الرّغبة

[1] – محمد العيد تاورتة، اللّغة وتقنياتها في بناء الرّواية، ع21، مجلّة العلوم الإنسانيّة، جامعة منتوري، قسنطينة،الجزائر جوان 2004، ص53.

أو الصدفة فقط، بل تستخدم استنادا إلى خلفيات ومرجعيات لغويّة مثّلت جوهرها تشكيلا وتنسيقا في رواية يمكن عدّها نموذج الحوارية والهجونة اللّغويّة.

2- الاسترفاد العاميّ:

لا يمكننا أن ندحض المقولة التّي ترجع أصل اللّغة العاميّة إلى العربيّة الفصحى ذلك لأنّ العاميّة استمدّت معظم إن لم نقل كلّ ألفاظها وعباراتها وتعابيرها من الفصحى، وذلك نتيجة لتأثر العاميّة الجلّيّ باللّغة الفصحى ومبانيها وأسسها، طمعا منها في الوصول إلى منزلتها العريقة.

لجأت رواية ميهوبي إلى استخدام الحقل اللّغوي العاميّ البسيط القريب من واقع المجتمع اليوميّ، فقد تجسّدت هذه اللّغة جنبا إلى جنب مع اللّغة الأدبيّة، في أسلوب متناسق ومحكم البنية، بعيدا عن الاستعمال المبتذل للكلام الدارج، فالعاميّة هي ذو مستوى أدنى من الفصحى، لكنّها تحتل مساحة كبيرة من حيث الاستعمال، لكثرة تداولها في الأحاديث اليوميّة، ما يجعل العاميّة توظّف مفرداتها وتراكيبها بعيدا عن التّعقيد والإبهام، وذلك لتقريب المعنى والصورة إلى المتلقي بشكل مبسّط وممتنع، فهي لغة عربيّة محكية تعكس لنا صورة المجتمع والحالة الواقعيّة التي يمرّ بها في الحقيقة، منسجمة في ذلك مع مستجدات العصر وظروفه المتطوّرة ومستوياته المختلفة، فهي سهلة الاكتساب والتّلقين، من منطلق وضوح سياقاتها وكثرة تداولها، فالعاميّة في جوهرها تحاول قدر الإمكان أن تكتسب في هيئتها ثوب الإصلاح والارتقاء والتّيسير.

حفلت الرّواية بمجموعة من الألفاظ العاميّة، التّي سبق وأن درسناها، حيث تغلغلت في أعماق الرّواية، تاركة في نفس المخاطَب مشاعر التّشويق وجاعلة إيّاه في فضول علميّ يدفعه إلى التقصّي البناء.

وتجدر الإشارة إلى تلك العبارات ذات الطابع الشّعبيّ التّي طعّم بها الكاتب هذه الرّواية، كالأغاني والأمثال والحكم التّي استقاها من الموروث الشّعبيّ القديم، حيث «أنّ اللّغات الشّعبيّة قامت إلى جانب الفصحى، بدور كبير يتمثّل في إرهاف الحسّ المبدع للشعر وتنمية الخيال الخلاّق للرّواية وتربية الميول بالأمثال والحكم المستمدّة من تجارب الأيّام»[1]. فقد كانت العاميّة ميّالة إلى خلق جوّ حافل بالإيقاعات اللّغويّة الممتزجة بالحماس والعاطفة الجيّاشة التّي تضفي على الرّواية جمالا وفنّا وعذوبة.

3- اللّغة الشعريّة:

تأكيدا على ما قيل بخصوص اعتبار جنس الرّواية أكثر الأجناس انفتاحا على الفنون والأنواع الأدبيّة الأخرى، من منطلق قدرتها على احتواء عدّة أشكال ونصوص أدبيّة أو شعبيّة، تتداخل اللّغة الشعريّة مع اللّغة التّقريريّة ليتولّد نصّ كثيف دلاليا وثخن فنيّا، يأخذ القارئ ويستهوي مشاعره.

تتجلّى بعض النّماذج التّي اعتمدت فيها اللّغة الشعريّة، وجاءت في قالب شعريّ حر ومن ذلك ما نراه في المقطع الآتي:

« قمر يتجوّل بين الشّوارع
بحثا عن الشّمس في حارتي
زغردتْ جارتي
كنت مثل نساء المدينة
أحصي الدّقائق... »[2].

---

[1] – بهلول شعبان، جمالية التّنويع اللّغويّ في النّص السّرديّ، ع1، مجلة الإشعاع، كلّية الآداب واللّغات والفنون، جامعة سعيدة، الجزائر، جوان 2014، ص161.

[2] – عزّ الدّين ميهوبي، التوابيت، م س، ص182.

ويستوقفنا المقطع الشعريّ الآتي، الذّي جاءت لغته على شاكلة اللّغة الصوفيّة:

« تجيئين مثل حمامة

تجيئين من ألق الشرق والسنديان

تجيئين عيناك تختزنان غمامةْ

ومن فرح تمطرانْ

تجيئين من سدرة المنتهى... »[1].

وتصادفنا أيضا مقاطع شعرية أخرى عديدة، جاء في أحدها:

« دمهم شجرة..

واحد

خمسة

عشرة

مائة

مائتان... »[2].

انطلاقا من هذه المقاطع الشعريّة التّي أقامها الكاتب على أساس الشعر الحر، يتبيّن احتفاء النّص باللّغة الشعريّة، إذ جاء توظيفها بصفة تناسب طبيعة اللّغة السّرديّة، ليتولّد تناغما فيما بينهما، فيبيّن الرّاوي ما ألمّ به من وقائع فاجعة، تركت بصمة ألم وحزن، وهذا ما دفع الكاتب إلى المزج بين لغة السرد ولغة الشعر، في صورة مركّبة أسهمت في إضفاء طابع فنيّ وجماليّ، شديدة التّعبير والإيحاء.

لا يسعنا استحضار كلّ الاستشهادات التّي فرضت فيها اللّغة الشعريّة هيمنتها، بكلّ أشكالها ومستوياتها المختلفة، واكتفينا بالتّمثيل لذلك بعيّنة صغيرة من الشواهد اللّغويّ الشعريّة

[1] – المرجع نفسه، ص218.

[2] – م ن، ص231.

البارزة في النّص، فإنّ كانت رواية ميهوبي بهذا الغنى والجماليّة اللّغويّة، فهذا راجع إلى الخلفية التّي يتميّز بها الكاتب باعتباره شاعرا وكاتبا في الآن ذاته، ممّا يدلّ على الثروة اللّغويّة والشعريّة التّي يمتلكها، ما يكسب نصوصه الرّوائيّة عامّة مسحة جمالية فنيّة ودلالية متمظهرة في أحسن صورة.

4- لغة الحوار:

من الجدير بالذّكر أن الحوار عدّ من أهم الآليات والتّقنيات التّي تعتمدها الرّواية في بناء نظامها السّرديّ، فله بدوره تأثير بالغ الأهميّة في هيكلة قوام الرّواية وأعمدتها المتنوّعة ذلك أنّ «التّوجيه الحواريّ هو بوضوح ظاهرة شخصيّة لكلّ خطاب وهو الغاية الطّبيعيّة لكلّ خطاب حيّ»[1]. فيسهم الحوار في تجسيد أحداث الرّواية ويضفي حيوية وحركة على المشاهد اللّغويّة الأدبيّة، حيث ينشطر الحوار إلى شطرين يتمتعان بسلطة التّلاعب بضوابط النّص الرّوائيّ ومستوياته، ويكمنان فيما يلي:

1- الحوار الديالوجيّ (Dialogue):

يتجسّد الحوار الخارجي في تباين المواقف التّي تبديها الشّخصيات ذات المنحى المتعدّد، فلا أساس للخطاب الأدبي من الأدبيّة والتدلال إن لم يكن قائما على وجهات نظر مختلفة المعالم، فلكلّ شخصيّة رأيها الخاص، تطرح مواقفها وفكرها وقناعاتها التّي قد تختلف عن الطرف الآخر، والتّبادل اللّفظي بين مستويين ثقافيين وطرفين مختلفة في الوعي والمستوى والفكر، يسهم في إحداث تفاعل صوتيّ واتصال لغويّ، ممّا ينتج اندماج وعيين ومستويين لكلّ تأثيره على الآخر.

[1] – تزفيتان تودوروف، ميخائيل باختين، المبدأ الحواري، م س، ص125.

تزخر رواية التّوابيت بشواهد كثيرة مبنية على تقنية الحوار، أو ما يسمى في النّص الأدبيّ بالبوليفونيّة (تعدّد الأصوات) حيث تتحاور الأصوات وتتداخل محسسة القارئ بطابع الرّواية الديالوجي، ومن أمثلة ذلك المقطع الآتي:

« – وهل هناك صفة أخرى للقوّة؟

– أو أنّها سبب قادر على إيقاف جسم متحرّك.

– أعطني مثالا؟

– الأمريكان عندما أوقفوا تنظيم القاعدة بقيادة أسامة بن لادن الذّي كان يتحرك في اتجاهات متعدّدة.. إنّه متحرك باستمرار!

– من قال إنّهم أوقفوه؟

– هم قالوا.. وإلاّ من هم المعتقلون في قاعدة غوانتانامو الأمريكيّة... »[1].

يلفت انتباهنا أيضا المقطع الآتي الذّي وظّف لغة هجينة بشتى مظاهرها:

« – مرحبا بكم..

– نقدروا نقعدوا معاك شويه. قال عياش وهو يجر كرسيّه إلى جانبه.

– جاي تكركر في كرسيك وتقول لي نقعدوا شويه.. أقعد وزيد أشرب قهوة!

– احنا صحافيّين. قلت له وأنا أنتظرر فعله.

– ما كان لاه تعملو معايا حوار interview.. »[2].

ويستوقفنا المقطع الآتي الذّي يدور موضوعه حول الحوار:

« – أعرف أنّ بوضياف جاء متأخرا. ووحده لن يحل الأزمة.

– أزمة من؟

– أزمة البلد؟

[1] - عزّ الدّين ميهوبي، التوابيت، مرجع سابق، ص34.

[2] - م ن، ص63.

– تقصد أزمة العقل في البلد..

– تعني بالعقل الحوار..

– الحوار جزء من هذا العقل الذّي توقف نهائيا عن التّفكير»[1].

تميّزت هذه السياقات اللّغويّة التّي استعرضناها في هذه الأمثلة بحوار خارجيّ تضاربت فيه الآراء بشكل جدليّ، ويتميّز هذا الحوار بكثير من الانفعالات وأسلوب قويّ مؤثر، وبالبساطة والغموض في بعض الأحيان، حيث يتنامى الصّراع بين شخصيّات الرّواية المنتمية إلى تيارين فكريين متناقضين، وقد اعتمد هذا الحوار على اللّغة الفصيحة كالمقطع الأوّل والثالث الذّي كان بلغة فصيحة. واعتمد على اللّغة العاميّة تارة أخرى، كالمقطع الثّاني الذّي دار بين صحفيّين ومطرب معروف، والجمع بينهما في موضع آخر كما في المقطع الثّاني، وهذا ما طبع، صياغة الجمل وتراكيبها بالجمال والإيجاز والتّكثيف والتّركيز على المعنى، واستخدام قرائن لغوية كالتّعجب والاستفهام والتّنقل من لغة إلى أخرى بأسلوب حواريّ منسّق، ممّا يسهم في إثارة واستمالة المتلقي إلى أقصى درجة ممكنة.

2- الحوار المونولوجي (Monologue):

يقوم هذا الوجه الثّاني من الحوار على محادثة تقع بين الشخصيّة وذاتها، أي إنّ الحوار هنا داخليّ، بين الشخصيّة ونفسها، ما يسهم في إظهار وبيان نفسيّتها الدّاخليّة عكس ما يظهره الحوار الخارجي باعتباره تناوبا حواريا بين الشّخصيّات.

حفلت الرّواية بمظاهر الحوار الدّاخلي الذّي وظّفه الكاتب في نصّه، فهو حوار من طرف واحد لا يتدخل فيه أي شخص آخر، ولا يشترك فيه اثنان، حيث تكون المحادثة من الشخصية وإليها، وهذا راجع إلى النّفسيّة وما تشهده من اضطرابات وصراعات متعدّدة، ومن أمثلة ذلك في الرّواية المقطع الآتي:

[1] - عزّ الدّين ميهوبي، التوابيت، م س، ص 97.

« عدت متثاقلا إلى فراشي. ما كنت أخشاه وقع. والحل؟ لا أدري. أنتظر الصباح وأرى الأمر »[1].

ونصادف هذا المقطع الذّي يستنبط فيه الرّاوي حالته النّفسيّة وما شهدته من اضطربات:

« قضيت الليلة.. أسترجع شريط الواقعة حتى الصباح.. ورغم الإرهاق كنت أنظر أحيانا في المرآة وأتحسس تضاريس وجهي وأقول هل فعلا أنا حيّ..»[2].

استعمل الحوار الداخلي في النّص، استعمالا لا يقلّ شأنا الحوار الخارجي، ففي هذه النّماذج المعروضة سابقا كان الرّاوي منهمكا في حوار مع النّفس، واستكشاف باطن الذات في صورة يخلق حوارا مع نفسه، باحثا عن التّوازن النفسيّ والرّاحة الدّاخليّة.

يتبيّن من خلال ما تّم عرضه من آليات قام عليها الحوار، أنّ الحوار يخلق حالة من التّناغم والانسجام نتيجة التّفاعل الحاصل بين مختلف الشّخصيات المتحاورة، ما يحقّق للنّصّ جزءت من وظائفه وأهدافه وغايته الجماليّة.

ومحصلة للقول يمكن القول، بأنّ قضيّة التّشكيل اللّغويّ برزت خطاها في هيكلة نظام رواية ا لتّوابيت، إذ يتيح لعدّة فنيّات وجماليات من ولوج عالم الجنس الرّوائي، الذّي يحدث فيه تغييرات معتبرة، سواء كان في (اللّغة، الأسلوب، الصياغة، الجماليّة، المعنى،الشكل..) فما أحدثه التعدّد اللّغويّ في النّص أعطى بناء ونظاما مختلفا تماما عمّا شهدته الرّواية في شكلها القديم والتّقليدي.

لقد عرفت الرّواية بحكم تطوّرها وتقدمّها على الأجناس الأخرى، تطوّرا جذريا، إمّا على الصعيد الموضوعي أو الشكليّ، فقد استطاعت أن تدرج تحت ظلّها عدّة أشكال لغوية أخرى، ترفع من منزلتها وتجعلها أكثر تفتحا على الفنون الأخرى، ومن بين هذه الأشكال

[1] - عزّ الدّين ميهوبي، التّوابيت، م س، ص82.

[2] - م ن، ص135.

نجد التنوّع الكلامي الذّي برز وبكثرة في الرّواية المعاصرة، فهذا النّزع من الظواهر عند توظيفه يكون الخطاب الأدبيّ، أبلغ وأقرب إلى الفهم والاستيعاب، نظرا لاحتوائه على عدّة طبقات لغوية تجعل طريقة الإيصال تكون أسرعّ، ولا نستطيع بناء عمل أدبي يخلو من تلافيف الحوار بشكليه، لأنّه يكون أقرب إلى الفرد ذلك لأنّه نقاش وحوار وتبادل الآراء ووجهات النظر، ولا يمكن أن ننكر منزلة الشعر في بناء أدبيّ ما، لأنّ اللّغة والفنيّة التي يضفيها للنّص لها وقعها وأثرها البارز في تشكيل جماليّ وفنيّ.

خاتمة

لم يبقى لنا في خاتمة هذا البحث،إلاّ أن نستعرض أهم النتائج التي تسنى لنا الوصول إليها، والتي نعددها في النقاط الآتية:

– تبنّت الرّواية العربيّة الحديثة والمعاصرة تقنية التّهجين اللّغويّ في فحواها، معتمدة في ذلك على التّنوع اللّسانيّ الذّي عرفت به الرّواية البوليفونيّة،المختلفة عن الرّواية المونولوجيّة أسلوبا، ولغة، وصوتا ووعيا، وإيديولوجيّة، وتبئيرا.

– يكمن التّهجين اللّغوي في التّعدد والتنوّع الكلامي، الذّي يطبع الرّواية، التّي أُطلق عليها مصطلح الرّواية البوليفونيّة، أو الرّواية المتعدّدة الأصوات، بحكم اعتماد الكاتب فيها على جملة من اللّغات المختلفة والمتنوّعةمن حيث تعدّد المواقف الفكريّة، واختلاف الرؤى الإيديولوجيّة، وتعدّد الأصوات والشخصيّات.

– نظَّر ميخائيل باخ تينلمفهوم الحوارية، إذ اعتبره مبدأ أساسيّا تقوم عليهالرّواية المتعدّدة الأصوات، وركز على التّبادل اللّفظيّ الذّي يُحدث تفاعلا تواصلّيا هدفه التّأثير والتّأثر بين طرفي الحوار أو الشخصيات المتعدّدة في نظام الرواية البوليفونيّة.

– تتميّز رواية التّوابيت،لـ "عز الدين ميهوبي"، بتنوّع في أشكال التعدّد اللّغوي، وتتمثّل في الصوت واللّغة الواحدة التّي لا غنى عنها، مهما حصل تطورفي الرّواية؛وكذا ازدواجية اللّغة، أي اعتماد لغتين،أولاهما رسميّة،والثانية محليّة متفرعة عن اللّغة الأصليّة، تكون لغة العامّةالموظفة في الحياة اليومية؛فضلا عن الثّنائيّة اللّغويةالتي تضم اللّغة الرسميّة واللّغة الأجنبيّة التّي تعد من مخلّفات الاحتلال الفرنسيّ.

– نلمس،فضلا عن الأشكال اللّغويّة التّي تضمّنتها الرّواية، اعتماد التّعايش اللّغويّ الذّي جمع بين مختلف اللّغات في جنس أدبيّ واحد، وجعلها تتداخل فيما بينهان محقّقة بذلك الانسجام والصيّاغة المحكمة للنّص السردي.

– يتضمّن التهجين اللّغويّ مجموعة من التّشكيلات اللّغويّة التّي امتازت بطابع جماليّ متسق، من خلال بيان ماهيّة التّنويع اللّغويّ وغرضه الأساسيّ في رواية "التوابيت"، والميزات التّي تفرّد بها وصبّهافي الجنس الرّوائيّ.

– تنفتح الرّواية على العديد من الأجناس الأدبيّة المتنوّعة، ممّا يتيح لها أن تتميّز عن الفنون الأخرى، بما تحويه من فنيّات تشكيليّة ثريّة، فبالإضافة إلى ما تتميّز به اللّغة العربيّة من فنية وقوة تأثير في العمل الأدبي،انحاز الكاتب إلى توظيف اللّغة العاميّة كشكل لغويّ بارز في رواية التوابيت . كما استدعت الضّرورة الاستناد على فنيّة اللّغة الشعريّة التّي وظّفها الكاتب بشكل جلي للتّعبير عن حالته إزاء وضع الإرهاب الذي حاصر بلاده ومخلفاته الجليّة.

– استند"ميهوبي"في روايته على ركيزة الحوار، التي مكّنته من التّواصل والتّبادل اللّسانيّ بين أطراف الشخصيّات من جهة، والتّواصل مع ذاته من جهة أخرى، وهذا ما أعطى للرّواية بنية محكمة الحبك، وأسهم في بناء الأحداث وتطوّرها، في صورة فنيّة متميّزة.

أمنيتنا في الأخير، أن نكون قد أخذنا نصيبا من التّوفيق في هذا البحث، وأنّنا أسهمنا، ولو قليلا، في نفض الغبار وكشف اللّبس والغموض الذّي اكتنف ظاهرة التّهجين اللّغويّ، خاصّة في الجنس الرّوائي، فقد كان مقصدنا، من خلال هذا المحاولة، معرفة مدى تأثير هذه الظاهرة اللّغويّة على الجنس الأدبيّ، ووقعها علىمدركات القراء، وكيفية التّفاعل مع هذا النّوع الجديد الذّي يخترق أسوار الخطاب الرّوائيّ. عسى أن نكون قد وفّقنا، بما يكفي، في إضافة الجديد والمفيد إلى مسألة لغويّة أرست أسسها المتينة في المجال الأدبيّ.

قائمة المصادر والراجع

قائمة المصادر والراجع:

الكتب:

- إبراهيم أنيس، في اللّهجات العربيّة، ط8، مكتبة الانجلو المصرية للنشر والتّوزيع، القاهرة 1996.

- إبراهيم صالح الفلاي، ازدواجية اللّغة: النّظريّة والتّطبيق، ط1، مكتبة الملك فهد الوطنيّة الرياض، 1996.

- إميل بديع يعقوب، فقه اللّغة العربيّة وخصائصها، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، ماي 1982.

- أنيس فريحة، اللّهجات وأسلوب دراستها، ط1، دار الجيل للنّشر والتّوزيع، بيروت 1989.

- أنيس فريحة، نظريّات في اللّغة، ط2، دار الكتاب اللّبنانيّ، بيروت، 1981.

- بدر بن محمد عيد الحسين، التّعايش من أجل السلام، ط1، مركز الملك عبد العزيز الحوار الوطني، الرياض، 2018.

- بسام بركة وآخرون، اللّغة والهويّة في الوطن العربيّ:إشكاليات التعليم والترجمة والمصطلح، ط1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السّياسات،بيروت، يناير 2013.

- تزفيتان تودوروف، ميخائيل باختين، المبدأ الحواريّ، تر: فخري صالح، ط2، المؤسسة العربيّة للنّشر والدّراسات، بيروت، 1996.

- حميد الحميداني، أسلوبية الرّواية، مدخل نظري، ط1، منشورات دراسات: سال، مكتبة الأدب المغربي، فاس–المغرب، 1989.

- رمضان عبد التّواب، فصول في فقه اللّغة، ط6، مكتبة الخانجي للطّباعة والنّشر والتّوزيع 1999.

- زتسيسلافواورزنيال، مدخل إلى علو النّص: مشكلات في بناء النّص، تر: سعيد حسن بحيري، ط1، مؤسسة المختار للنّشر والتّوزيع، القاهرة، 2003.

– سيد إسماعيل ضيف الله، آليات السّرد بين الشّفاهيّة والكتابيةّ: دراسة في السيرة الهلالية ومراعي القتل، ط1، شركة الأمل للطّباعة والنّشر، القاهرة، 2008.

– شوقي ضيف، تحريفات العاميّة للفصحى في القواعد والبنيات والحروف والحركات، ط1دار المعارف، القاهرة، 1994.

– عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ط1، منشورات ضفاف، لبنان، 2013.

– عبد الله آيتالأعشير، اللّغة العربيّة الفصحى: نظرات في قوانين تطورها وبلى المهجور من ألفاظها، ط1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الوعي الإسلامي، الكويت، 2014.

– عبد المجيد الحسيب، حوارية الفن الرّوائيّ، منشورات مجموعة الباحثين الشباب في اللّغة والأدب، مكتبة الأدب المغربي، فاس–المغرب، 2007.

– عبد المجيد الحسيب، الرّواية العربيّة الجديدة وإشكالية اللّغة، ط1، عالم الكتب الحديث للنّشر والتّوزيع، إربد–الأردن، 2014.

– عبد الملك مرتاض، في نظرية الرّواية، بحث في تقنيات السرد، ط1، عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ديسمبر 1998.

– علي عبد الواحد الوافي، اللّغة والمجتمع، ط4، شركة مكتبات للنشر والتوزيع، الرياض 1983.

– علي عبد الواحد وافي، علم اللّغة، ط9، نهضة مصر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرةأفريل، 2004.

– غازي مختار طليمات، في علم اللّغة، ط2، دار طلاس للدّراسات والتّرجمة والنّشر دمشق 2000.

– كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربيّ، تر: عبد الحليم النّجار، ط5، ج1، دار المعارف جامعة الدّول العربيّة، القاهرة، 1977.

– لويس جان كالفي، حرب اللّغات والسّياسات اللّغوية، تر: حسن حمزة، مراجعة: سلام بزي حمزة، ط1، المنظّمة العربيّة للتّرجمة، مركز دراسات الوحدة العربيّة للتّوزيع، بيروت 2008.

– محمد برادة، الرّواية ورهان التّجديد، ط1، دبي الثّقافية، الصدى للصّحافة والنّشر والتّوزيعدبي–الإمارات العربية المتحدّة، ماي، 2011.

– محمد الدّاهي، التشخيص الأدبي للّغة في رواية الفريق لعبد الله العروي، ط1، دار الأمان، الرباط–المغرب، 2006.

– محمد رياض كريم، المقتضب في لهجات العرب، ط1، جامعة الإمام محمد بن باديس بن سعود الإسلاميّة، الرياض–السعودية، 1996.

– محمد شفيق، ثلاث وثلاثين قرنا من تاريخ الأمازيغيّين، ط1، دار تاوالت للنّشر والتّوزيع الرباط–المغرب، 1989.

– محمد علي الخولي، الحياة مع لغتين: الثّنائية اللّغويّة، ط1، دار الفلاح للنّشر والتّوزيع الأردن، 2002.

– محمد محمد داود، اللّغة كيف تحيا؟ ...ومتى تموت؟، ط1، دار نهضة، القاهرة، 2016.

– محمود تيمور، مشكلات اللّغة العربيّة، مكتبة الآداب للطّباعة والنّشر والتّوزيع، مصر 1956.

– ميخائيل باختين، الخّطاب الرّوائيّ، تر:محمد برادة، ط1، دار الفكر للدّراسات والنّشروالّتوزيع، القاهرة، 1987.

– ميخائيل باختين، شعرية دوستويفسكي، تر: جميل نصيف التكريتي، مراجعة: حياة شرارة ط1، دار توبقال للنشر، دار الشؤون الثّقافية العامّة، الدار البيضاء– بغداد، 1986.

– ميخائيل باختين، الكلمة في الرّوايّة، تر: يوسف الحلاق، ط1، منشورات وزارة الثقافة دمشق، 1988.

– ميخائيل باختين، مختارات من أعمال ميخائيل باختين، تر: يوسف الحلاق، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2008.

– ميشال زكريا، قضايا ألسنية: تطبيقيّة لغويّة اجتماعيّة نفسيّة، مع مقاربة تراثية، ط1، دار العلم للملايين، لبنان، يناير 1993.

المعاجم:

- أحمد مختار عمر، معجم اللّغة العربيّة المعاصرة، مج:1، ط1، عالم الكتب القاهرة2008.

- بطرس البستاني، قطر المحيط، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، 1995.

- مجد الدّين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج4، دار الجيل، بيروت.

- مجدي وهبه وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربيّة في اللغة والأدب، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1974.

- مجمع اللّغة العربيّة، المعجم الوسيط، ج2، ط3، مكتبة الشروق الدّولية، القاهرة.

- محمد مرتضى الزّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مج9، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

- أبو الفضل جمال الدّين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقيّ المصريّ، لسان العربمادة: هجّن، مجلد9، ج13، ط1، دار صادر، بيروت، 1990.

المجلاّت:

- أحمد عبد الرحيم أحمد فراج، اللّهجات العربيّة بين الفصحى والعاميّة، جازان- المملكة العربيّة السعوديّة.

- عبد الكريم قاضي، التّواصل في اللّغات والثّقافة والأدب، مجلة محكّمة ومفهرسة تصدر عن جامعة باجي المختار، ع31، عنابة-الجزائر، 2012.

- صالح بلعيد، هل تشتعل حرب الحروب، منشورات مخبر الممارسات اللّغويّة، الجزائر 2016. **نقلا عن:** صالح بلعيد: ترسيم المازيغية، حل أو عقد، مجلة التّخطيط والسّياسة اللّغوية، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدّولي لخدمة اللّغة العربيّة، الرياض، 2015.

– صالح بلعيد، النّخبة الوطنيّة والمشاريع، طبعة مزيدة، مخبر الممارسات اللّغويّة في الجزائر، جامعة مولود معمري، تيزي وزو– الجزائر.

– المجلس الأعلى للّغة العربيّة، الأمن الثّقافي واللّغويّ والانسجام الجمعيّ، دار الخلدونيّة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2018.

– المجلس الأعلى للّغة العربيّة، الرّواية بين ضفتي المتوسّط، منشورات المجلس، الجزائرماي 2018.

– المجلس الأعلى للّغة العربيّة، اللّغة العربيّة، مجلة فصلية، منشورات المجلس الأعلى للّغة العربيّة، ع2، الجزائر، 1999.

– المجلس الأعلى للّغة العربيّة، اللّغة العربيّة، مجلة نصف سنوية محكمة تعنى بالقضايا الثّقافيّة والعلمية للّغة العربيّة، ع9، الجزائر، 2003.

– المجلس الأعلى للّغة العربيّة، اللّغة العربيّة بين التّهجين والتّهذيب: الأسباب والعلاج الجزائر، 2010.

– المجلس الأعلى للّغة العربيّة، اللّغة العربيّة: من محنة الكولونيالية إلى إشراقة الثّورة التّحريريّة، منشورات المجلس الأعلى للغة العربيّة، الجزائر، 2005.

– محمد جاسم جبارة، اللّغة العربيّة وإيديولوجية الوحدة، مجلّة تبيّن، ع4/14، جامعة الموصل، كلية التربية للعلوم الإنسانية، العراق، 2015.

الرّسائل الجامعيّة:

– ريم مرايحي، الازدواج اللّغويّ بين الفصحى والعاميّة تعابير تلاميذ السنة الرابعة متوسط أنموذجا، مذكرة لنيل شهادة الماستر، إشراف: الشافعي بديار، جامعة محمد العربي بن مهيدي، أم البواقي–الجزائر، 2017/2016.

– نهلة موهوب/شفيعة مولوجي، جماليّة الخطاب البوليفوني في رواية البيت الأندلسيّ، مذكرة لنيل شهادة الماستر في اللّغة والأدب العربيّ، إشراف: موسى عالم، جامعة بجاية، بجايةالجزائر، 2015/2014.

المقالات:

– إبراهيم كايد محمود، العربيّة الفصحى بين الازدواجية اللّغوية والثّنائية اللّغويّة، المجلة العلميّة، ع1، مج3، جامعة الملك فيصل، المملكة العربية السعودية، مارس، 2002.

– أحمد برماد، أزمة التّداخل اللّغويّ بين العاميّة والفصحى في المدرسة الجزائريّة، مجلّة الأكاديميّة للدّراسات الاجتماعيّة والإنسانيّة، ع19، جامعة جيجل، قسم الآداب واللّغاتجيجل– الجزائر، 2018.

– بهلول شعبان، جمالية التّنويع اللّغويّ في النّص السّرديّ، ع1، مجلة الإشعاع، كلّية الآداب واللّغات والفنون، جامعة سعيدة، الجزائر، جوان 2014.

– جوادي هنية، التعدّد اللّغوي ، في رواية فاجعة اللّيلة السّابعة بعد الألف للأعرج واسيني مجلة كلّية الآداب والعلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، ع6، جامعة محمد خيضر، بسكرة–الجزائر جانفي2010.

– زيد خليل القرالة، التّشكيل اللّغويّ وأثره في بناء النّص: دراسة تطبيقيّة، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدّراسات الإنسانيّة)، مج: 17ن، ع1، كلّية الآداب والعلوم الإنسانيّة جامعة آل البيت، الاردن، يناير 2009.

– سعيدة كحيل، البناء الفنيّ للرّواية الجديدة، قراءة في ثلاث روايات متميّزة، الرّواية: قضايا وآفاق، الملف:4، الجزائر.

– صليحة مرابطي، حوارية السّرد في رواية تماسخت دم النسيان للحبيب السّايح، جامعة مولود معمري،تيزي وزو– الجزائر.

- عصام عبد الله علي، الصّراع والتّعايش اللّغويّ في نيجيريا، مجلة اللّسان الدّوليّة، ع3 معهد الشيخ إبراهيم الطّيب للّغة العربيّة، كانو_نيجيريا،يوليو، 2017.
- علي القاسمي، التّداخل اللّغويّ والتّحول اللّغويّ، مكتب تنسيق التّعريب، الرباط.
- عمر عروي، التّشكيل اللّسانيّ في حوارية الرّواية عند الطاهر وطار الشمعة والدهاليز أنموذجا، جامعة تيارت، تيارت-الجزائر.
- ليلى صديق، احتكاك اللّغات وأثره في التّطور اللّغويّ، جامعة عبد الحميد باديس مستغانم-الجزائر.
- محمد جاسم جبارة، اللّغة العربيّة وإيديولوجية الوحدة، مجلّة تبيّن، ع4/14، جامعة الموصل، كلية التربية للعلوم الإنسانية، العراق، 2015.
- محمد العيد تاورتة، اللّغة وتقنياتها في بناء الرّواية، ع21، مجلّة العلوم الإنسانيّة، جامعة منتوري، قسنطينة-الجزائر، جوان 2004.
- نورة بعيو، التّشخيص الفنيّ للّغة في الرّواية لواسيني الأعرج وبنسالم حميش أنموذجا جامعة مولود معمري، تيزي وزو- الجزائر.
- نور الله كورت، ميران أحمد ابو الهيجاء، محمد سالم العتوم، اللّغة العربيّة (نشأتها ومكانتها في الإسلام، أسبابقائها)، جامعة بنغلادش، 2015.

المواقع الإلكترونيّة:

- محمد خالد رمضان، أهمية اللّفظية العاميّة في التّراث الشّعبيّ، الشّفاهيّ ومعنى جمعها ودراستها، منتدى حزب الإرادة الشّعبيّة، نقل السّاعة: 19:41، يوم: 2 أوت 2019. www.kassioun.org/more-catagories/art-and-culture/item/3396-7378

- ميلود شنوفي، تعدد الأصوات وحوارية الفن الرّوائيّ في نظرية الرّواية عند ميخائيل باختين ، ع12، جامعة البليدة 02، الجزائر، نقل الساعة: 14:43، يوم: 17 جويلية 2019،

- asjp.cerist.dz/en/article/54251.

- عبد الكريم عوفي، مصطلحات الأطعمة في العاميّة الجزائريّة، وصلتها بالعربيّة الفصحى منتدى فيض القلم، نقل الساعة: 13:20، يوم: 31 جويلية 2019،

-https://9alam.com/connuty/threads/mstlxhat-alatgm-fi-alyami-algzari-usltxa-balyrbi-alfsxh,21489/.

- ناسمي محمد، تجارب توثيق اللّهجات العاميّة بالعربيّة، مجلة الموروث الشّعبيّ الإلكترونيّة، ع18، نقل: 1950، يوم: 2 أوت 2019،

-httpM//bahrainanyhronpology.blogspot.com/2016/11/blog-post_83.HTml.

ملحق

التّعريف بالرّوائي عز الدّين ميهوبي:

يعدّ **عز الدين ميهوبي** وزيرا للثّقافة في الحكومة الجزائرية، أديب وكاتب، ولد سنة 1959 (بعين الخضراء) ولاية المسيلة،جده محمد الدّراجي، من معيني الشيخ عبد الحميد بن باديس في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، كان جده قاضيا أثناء الثورة التحريرية، والده جمال الدّين، مجاهد وإطار متقاعد.

التدرّج الدّراسي والمؤهلات العلميّة:

- درس في الكتّاب بمسقط رأسه، والتحق بالمدرسة النظامية في 1967 بمدرسة عين اليقين (تازغت– باتنة) في السنة الرابعة ابتدائي، ثم انتقل إلى مدرسة السعادة ببريكة، ثم مدرسة لسان الفتى (تازولت– باتنة) ومتوسطة عبد الحميد بن باديس (باتنة)، ودرس بثلاث ثانويات هي عباس لغرور بباتنة، ومحمد قيرواني بسطيف، وعبد العالي بن بعطوش ببريكة حيث حصل على شهادة الباكالوريا آداب.
- 1979المدرسة الوطنية للفنون الجميلة ثم معهد اللغة والأدب العربي بجامعة باتنة (درسة متقطعة).
- 1984 –1980المدرسة الوطنية للإدارة (ديبلوم تخصص الإدارة العامة).
- 2007 –2006جامعة الجزائر (ديبلوم في الدراسات العليا المتخصصة– فرع الاستراتيجيا).

- 1979المدرسة الوطنية للفنون الجميلة ثم معهد اللغة والأدب العربي بجامعة باتنة (درسة متقطعة).
- 1984 –1980المدرسة الوطنية للإدارة (ديبلوم تخصص الإدارة العامة).
- 2007 –2006جامعة الجزائر (ديبلوم في الدراسات العليا المتخصصة– فرع الاستراتيجيا).

الوظائف التّي شغلها:

- 1990 –1986رئيس المكتب الجهوي لجريدة الشعب بسطيف.
- 1992 –1990رئيس تحرير صحيفة الشعب (أول صحيفة يومية بالعربية بعد الاستقلال).
- 1996 –1992إدارة مؤسسة إعلامية خاصة (أصالة للإنتاج الإعلامي والفني) مقرها بسطيف، أصدرت صحيفة "الملاعب" وبعض الكتب الرياضية.
- 1997 –1996مدير الأخبار والحصص المتخصصة بالتلفزيون الجزائري.
- 2002 –1997نائب بالبرلمان (المجلس الشعبي الوطني) عن حزب التجمع الوطني الديمقراطي.
- 2008 –2006مدير عام المؤسسة الوطنية للإذاعة.
- 2010 2008كاتب دولة للاتصال بالحكومة الجزائرية.
- 2013 –2010مدير عام المكتبة الوطنية الجزائرية
- 2015–2013رئيس المجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر.
- 2015وزير الثقافة في الدولة الجزائرية.
- رئيس اتحاد الكتاب الجزائريين منتخب منذ مارس 1998 (أعيد انتخابه في ديسمبر 2001إلى 2005).
- عضو مجلس الأمناء لمؤسسة البابطين من 2000 –2007.
- نائب الأمين العام للإتحاد العام للأدباء والكتاب العرب منذ 1998 حتى 2003.
- رئيس الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب (ديسمبر 2003– أكتوبر 2006)

المؤلفات والإصدارات:

- في البدء كان أوراس (ديوان شعر) عام 1985. منشورات الشهاب، باتنة.

- الرباعيات (ديوان شعر) 1997، منشورات أصالة.
- الشمس والجلاد (نص أوبيرت) 1997، منشورات أصالة.
- اللعنة والغفران (ديوان شعر) 1997، منشورات أصالة.
- النخلة والمجداف (ديوان شعر) 1997، منشورات أصالة.
- ملصقات (ديوان شعر) 1997، منشورات أصالة.
- خالدات (نصوص تمثيلية) 1997، منشورات أصالة.
- سيتيفيس (نص أوبيريت) 1997، منشورات أصالة.
- حيزية (نص أوبيريت) 1997، منشورات أصالة.
- A Candle for my Country مترجم إلى الأنكليزية عام 1998، منشورات أصالة.
- كاليغولا يرسم غرنيكا الرايس (شعر) مترجم إلى الفرنسية والإنكليزية 2000، منشورات أصالة.
- عولمة الحب عولمة النار (شعر) 2002. (طبعتان) ومترجمة إلى الفرنسية، منشورات أصالة.
- Mondialisation de l'amour, Mondialisation du feu (عولمة الحب، عولمة النار) ترجمة نصيف العابد إلى اللغة الفرنسية، عام 2002، منشورات أصالة.
- التوابيت "رواية" 2003، منشورات أصالة.
- قرابين لميلاد الفجر (شعر) 2003، منشورات أصالة.
- ومع ذلك فإنها تدور (مقالات) 2006، منشورات المحقق.
- طاسيليا (شعر) 2007، منشورات دار النهضة العربية، بيروت.
- منافي الروح (شعر) 2007، منشورات تالة، الجزائر.
- اعترافات تام سيتي (رواية من جزئين) 2007،، منشورات تالة، الجزائر.
- لا إكراه في الحرية (مقالات) 2007،، منشورات تالة، الجزائر.
- أسفار الملائكة (شعر) 2008،، منشورات البيت.

- اعترافات أسكرام (رواية) 2009، منشورات البيت.
- Tora Boraفصل من (اعترافات أسكرام) ترجمة عمر زياني إلى اللغة الإنكليزية. لم يطبع.
- (الرباعيات)quatrains ديوان شعر باللغتين العربية والفرنسية ترجمة جيلالي عطاطفة) 2011، منشورات حبر، الجزائر.
- ارهابيس (رواية).

ملخّص الرّواية:

تعدّ رواية **التّوابيت** نتاجا أدبيّا لسيرة ذاتية لصحفيّ جزائريّ، عايش ويلات وأحداث وفجائع شنيعة لا تنسى ارتكبت في حق الشعب الجزائري في زمن العنف والقتل والإرهاب فذاق من كأس المعاناة والحرب والاغتيال والألم ما يكفيه، وهذا ما جعلها رواية تخطّ لتبقى راسخة في الأذهان.

تبدأ أحداث الرّواية من تصوير الحالة المزريّة التّي يمرّ بها رجل في غرفة مهجورة، وهذا جراء الإعلان عن نتائج الانتخابات التشريعيّة سنة 1991، بانهزام جبهة التحرير الوطني وانتصار الفيس بشكل غير متوقع ومخيّب للأمل، فعند استيقاظه بعد صراع كبير في محاولة للنّوم، وهو يغادر يقابل مدير الفندق الحاج بوعلام ويناقش معه أحداث هذه الهزيمة وما تملّك الشعب من حسرى وغضب جراءها، يتجه إلى الجريدة طمعا في أن يجد مهربا ممّا يحدث، لكن ما يزيد من حسرته، اتصال ملغّم بالتّهديد عرف من خلاله أنّ القادم لن يكون بالشيء السهل واليسير، وصرنا منذ تلك المكالمة نتوقع الأسوء أن يحدث، ثمّ ينتقل الصحفيّ إلى محاولة منه في التعريف بنسبه وأصله وعن إنجازاته في الحياة، تتوالى الأحداث في الجريدة حتى يصعق الصحفيّ بإصدار فتوى جواز قتل الأطفال في الجزائر وما زاد الطين بلّة، هو مداهمة جماعة إرهابيّة لإحدى المناطق الجبليّة، وقامت بقتل كلّ أفرادها ولم تسلم حتى فتاة بعمر الثلاث أشهر من تعذيبها وقتلها بأبشع طريقة، ومن هول صدمته

كان لا ينفك من رؤية الكوابيس التّي كانت سوى عن التوابيت، حتى يستيقظ على مرض ابنته، ولكن سرعان ما عاد لكوابيسه. وفي صباح اليوم التالي ذهب يستفسر عن كوابيسه عند مختص في تفسير الرؤيا والكوابيس، ولكن انتقل الحديث بينهما إلى السياسيين الأمريكيين، وهجمات 11سبتمبر 2001، التّي بقيت موضع غموض ولبس، والوقائع المرتبطة بهذا التاريخ، ليس فقط في الحياة، ولكن كان لها وقع حتى في القرآن الكريم، ثمّ وصل بهما الحديث إلى ما آلت إليه فلسطين من انتفاضات فاجعة وأليمة، وانتهى النقاش بينهما، بعدها وككلّ يوم جمعة وفي مقهى تعوّد على الجلوس فيه يلتقي بصديق مغترب منذ سنين طويلة، فيسرقهما الوقت في الحديث المطوّل عن قصص حتى يسفر النادل عن وقت صلاة الجمعة، فيودّعا بعضهما آملين في اللّقاء مجدّدا، يجد الصحفيّ نفسه بعدها في سيارة أحد أهم لاعبي كرة القدم، بعد تكبّد عناء إيجاد سيارة أجرة باءت بالفشل، فتواصلت أطراف الحديث بينهما حتى بلغ الصحفيّ مقرّ الجريدة، وعند وصوله علّم بأنّ رجلين قد سألا عنه فازدادت علامات الـ قلق عليه، حتى رنّ الهاتف وكان صديقة العمري طويل حيث بدأ الصحفيّ يسرد عنه حيث وصفه بأنّه بعيد كلّ البعد عن النزاهة والأخلاق الحسنة، لما كان يمارسه من أعمال الاحتيال والنصب في كلّ عمل يقوم به، لكن سرعان ما كشف أمره.

تنتقل الأحداث في الجريدة حتى يستقبل الصحفيّ اتصالا من طالبة جامعية رغبة منها في الاستفسار عن سبب غياب المرأة في كتابات الصحفيّ، وجرى بينهما حوار مطوّل بعد هذا توالت الأحداث إلى المقابلة الطويلة التّي جمعت الصحفي وزميله بالفنان محمد الباجي، بعد أيام استقبل الصحفيّ اتصالا من رئيس لجماعة إرهابية يطلب منه فيه نشر بيان يتغمّده اللّبس والغموض، وبعد كلّ المقالات والبيانات التّي تّم نشرها في الجريدة، حيث كان الصحفيّ غارقا في كوابيسه حتى يستفيق في وقت متأخر جدّا من اللّيل على وقع قرع على الباب وكان الخبر الذّي لطالما كان الصحفيّ متخوّفا منه لقد صودرت الجريدة، بسبب ما نشر فيها من أخبار مشبوهة، حيث ادّعى الأمر التّحقيق مع أعضاء الجريدة، وينتهي بهم

المطاف نائمين في زنزانة باردة موحشة، حتى يغرق في الكوابيس الموحشة مجدّدا، بعدها يطلق سراحهما بعد أن أصبحت الجريدة في حالة لا يرثى لها.

يغادر الصحفيّ في رحلة عمل، بعد محاولات الزوجة الكثيرة في صدّه بسبب الاغتيالات التّي تحدث، ولكن مع هذا رافق التونسي في سيارة الأجرة وينطلقان في رحلة طويلة ومعهم في السيّارة أشخاص غير معروفين، على وقع أغنية عويشة والحراز والحديث القائم طوال الطريق، حتى غطّ الصحفيّ في كوابيسه اللامتناهية مرة أخرى، إذ به يستيقظ على صراخ حاجز مزيف حيث كانت جماعة إرهابية تقتل كلّ من يمرّ من أمامه حتى ساد الخوف والاضطراب في السيارة، لم يمر وقت طويل وبعد حديث مع أمير الجماعاة الإرهابية استطاع السيارة تجاوز الحاجز، غير مصدّقين بأنهم نجوا من موت كان محتما، تصل سيارة الأجرة إلى المكان المنشود رغم أنّ الجميع مازال في حالة صدمة لا تنسى؛ تتواصل الأحداث ويبقى الصحفيّ في حالة من الحزن واليأس ويتردّد في مسامعه كلّ يوم اغتيالات هذا وذاك، وينشغل بعدها بكتابة قصيدة بعنوان اللّعنة والغفران بعد النفسية التي آل إليها.

بعدها يعود إلى منزله وزوجته وأولاده، ويسأل عن الأخبار، فتخبره عن اغتيال أحدهم فيتّصل بالجريدة لمعرفة من هو؟ حتى يصعق بخبر وفاة بختي بن عودة شاب مثقف وطموح لأبعد درجة، فيتألم وتعوده حالة الحزن والألم والحسرى، ومن شدة حالته الميؤوس منها تعرّف على عراف أخبره بأنّ هناك خير قادم له، فيبدأ الصحفي بكتابة القصائد النفيسة بعدها يروي الصحفيّ لقائه مع أستاذ جامعي وتذكرا ذكريات الدّراسة حتى افترقا.

تأتي للصحفي فرصة عمل في التلفزيون بالعاصمة، ويقبل بالعمل وينزل في فندق بالعاصمة وتبدأ هناك الأحداث الفجيعة، والإرهاب الذي ينشر خطاه في كلّ مكان، وبعد كلّ ما مرّ به الصحفي من آهات آلام قرّر الالتحاق بالحزب في البرلمان، ثم يسرد الأسباب التي أتت به إلى البرلمان، تتوالى الأحداث يلتقي الصحفي بشاب من منطقة القبائل، ويدور حوار بينهما حول قضية اللّغة الأمازيغية وكتابتها بحروفها الأصلية، بعد هذا أورد الصحفي أهم

الاغتيالات التّي مرّت به طيلة مسيرته الإعلامية والصحفيّة، حتى أصبح كلّ يو يعزي هذا وذاك وكلّ يوم توضع آلاف الجثث في تابوت واحد.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات:

شكر وعرفان

إهداء

مقدّمة.....01

الفصل الأوّل: التّهجين اللّغويّ وتجلّياته في رواية التوابيت

المبحث الأوّل: ماهية التّهجين اللّغويّ

أولا: المفهوم اللّغوي للتّهجين.....06

ثانيا: المفهوم الاصطلاحي للتّهجين.....08

ثالثا: مفهوم الازدواجية اللّغوية.....11

رابعا: تعريف الثنائية اللّغوية.....13

خامسا: التّهجين اللّغويّ في الأدب.....16

المبحث الثّاني: أشكال التّهجين اللّغوي

أولا: التّفرد اللّسانيّ.....22

ثانيا: التفاعل اللّغويّ في الازدواجية اللّغويّة.....27

ثالثا: التّفاعل اللّغويّ في الثّنائيّة اللّغويّة 39

رابعا: اللّغة العاميّة في التّراث الشعبيّ من خلال الرواية.....43

خامسا: تجلي اللّغة الأمازيغية في الرّواية.....46

الفصل الثّاني: أسس التّهجين اللّغوي وأبعاده الجماليّة في رواية التّوابيت.

المبحث الأوّل: مقوّمات التّهجين اللّغويّ

أوّلا: ظاهرة التّعايش اللّغويّ بين اللّغات في الرّواية.....53

ثانيا: في مفهوم التّعايش اللّغويّ.....53

ثالثا: التعايش اللّغويّ بين اللّغة العربيّة الفصحى واللّغة العاميّة.....55

رابعا: التعايش اللّغويّ بين اللّغة العربيّة الفصحى واللّغة الفرنسيّة.....60

خامسا: التعايش اللّغويّ بين اللّغة العربيّة الفصحى واللّغة الأمازيغيّة.....61

المبحث الثّاني: أبعاد التّهجين الجماليّة.

أولا: ماهية التنوّع اللّغويّ وغايته.....64

ثانيا: فنيّة التّشكيل اللّغويّ.....68

1- فنيّة اللّغة العربيّة الفصحى.....69

2- الاسترفاد العاميّ.....70

3- اللّغة الشعريّة.....71

4- لغة الحوار.....73

خاتمة.....78

قائمة المصادروالمراجع.....81

ملحق.....90

فهرس المحتويات.....98

ملخّص الدّراسة:

يعدّ مصطلح **التّهجين اللّغويّ** سمة من السّمات المميّزة للرّواية العربيّة الحديثة والمعاصرة، وظاهرة من أكثر الظّواهر الأدبيّة واللّغويّة شيوعا في السّاحة الإبداعيّة، نتيجة لما قدّمته من أسس ومقوّمات في بنية الجنس الرّوائيّ، وهذا ما جعلنا نأخذ بعين الاعتبار هذه القضيّة ونجعلها جوهر بحثنا، إذ تبلورت على هذا الأساس رغبتنا في الولوج إلى كنه هذه المسألة اللّغويّة ودراستها حتى تشكّل موضوع بحثنا تحت عنوان **جماليات التّهجين اللّغويّ في رواية التّوابيت للكاتب الجـ زائري عز الدّين ميهوبي**، حيث قسّمنا بحثنا إلى مقدّمة تضمّنت تمهيدا عامّا لهذه الظاهرة الأدبيّة ومبادئها التّي أرستها في الرّواية، انتقلنا بعدها إلى تشكيل بحثنا على فصلين، أمّا الأوّل وسمناه بالتّهجين اللّغويّ وتجلّياته في رواية التّوابيت، وأدرجنا فيه مبحثين، حيث عالج الأوّل ماهية التّهجين اللّغويّ، أمّا الثّاني درسنا فيه التّهجين اللّغويّ في الأدب، فدراستنا في هذا الفصل كانت لنزع الغبار والإبهام حول مفهوم التّهجين اللّغويّ، أمّا الفصل الثّاني عنون تحت اسم أسس التّهجين اللّغويّ وأبعاده الجماليّة في رواية التّوابيت، كذلك أدرجناه تحت ظلّ مبحثين، فالأوّل كان معنونا بمقوّمات التّهجين اللّغويّ، أمّا الثّاني جاء بعنوان أبعاد التّهجين الجماليّة في الرّواية، لقد ارتأينا في هذا الفصل تبيان أهمّ ما بنيت عليه رواية التّوابيت تحت ظّل التّهجين اللّغويّ الذّي لازمها، واتخذها موطنا له، وبطبيعة الحال أنهينا بحثنا بخاتمة تخلّلت أبرز النّتائج المتحصّل عليها في هذا البحث العلميّ.

الكلمات المفاتيح: التهجين، الحوارية، الازدواجية اللّغوية، الثنائية اللّغوية، الرواية المتعدّدة الأصوات، الأحادية اللّغوية، التنوّع الكلامي، التشكيل اللّغوي، الحوار.